ذكرياتي

مع أهل الجزيرة العربية

عباس محمود العقاد



دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

المكتبة الصغيرة

(٥٤)

ذكرياتي

مع عاهل الجزيرة العربية

عباس محمود العقاد

اعداد

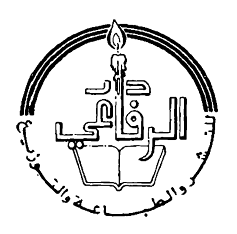
عامر العقاد

دار الرفاعي

للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض

الطبعة الأولى
(الخاصة بدار الرفاعي)
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

كلمة الناشر

لهذا الكتاب قصة لا بد أن تروىٰ... وفي روايتها أجوبة لبعض الأسئلة التي يمكن أن ترد على بال بعض القراء.

في عام ١٣٩٧ هـ زار المملكة العربية السعودية الأستاذ (عامر العقاد)، واحتفلت به بعض المحافل الأدبية، لمكانته من عمه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد، ولأنه هو أيضاً صاحب قلم... (يرحمهما الله).

وكان أن توثقت بيني وبينه علاقات وطيدة، على أثر لقاءات أدبية متعددة... وكان طبيعياً أن يكون العقاد الكبير محور أكثر أحاديثنا.

ولما كنت لا أزال أذكر زيارة الأستاذ (عباس محمود العقاد) للمملكة، في بعثة الشرف التي جاءت لتكون في معية الملك المؤسس عبد العزيز يرحمه الله، في سفره

إلى مصر بدعوة من ملكها فاروق آنذاك، وما كتبه الكاتب الكبير عن ذكريات لقائه بالملك العظيم، فقد اقترحت على الأستاذ عامر أن يجمع مواد كتابات عمه هذه من بطون الصحف، التي نشرتها، وأن يعدها لتكون كتاباً. . .، وأبديت له أن (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع) يسرها أن تنشر هذا الكتاب إن رغب.

وكان أن عاد الأستاذ (عامر) إلى مصر. . .

ثم سرعان ما تلقيت عقب عودته بحوالي الشهرين تقريباً مخطوطة الكتاب، مكتوبة بقلمه وخطه الأنيق الرشيق، وقد أتى على ذكر فكرة الاقتراح في صلب مقدمته.

وسرني أن يكون قد لبّاه مسرعاً، وأقام له هذا الاهتمام، وسرني أيضاً أن تظفر (دار الرفاعي) بكتاب عن العاهل العظيم، بقلم الكاتب العبقري الكبير (عباس محمود العقاد)، فبادرت بتوقيع عقد نشر الكتاب مع الأستاذ عامر بالصيغة التي ارتضاها. . . وأديت له حقوقه، وظننت أنني بنشر هذا الكتاب سأقوم بعمل لم أسبق إليه. . . ولكن. . .

لكن. . . ما كدت أقوم بالإجراءات المبدئية التي لا بد منها لإعداد الكتاب للنشر وإخراجه بالصورة اللائقة

به... حتى عرفت أن الكتاب قد نشر في بيروت... فأسقط في يدي... تماماً كما يُعبِّر الأجداد، واضطررت لإيقاف إجراءات النشر... فأية فائدة في نشر كتاب منشور، بل هو حديث النشر، والكلام عن الفائدة هنا، لا يدخل في معناه الكسب المادي، فقد كنت أنظر قبله إلى الكسب المعنوي، بحسبان أن فكرة الكتاب من اقتراحي، وأن دار الرفاعي ستنفرد بفخر نشره.

ولا أود أن أذكر قصة نشر الكتاب في بيروت... فقد نشر الكتاب هناك والسلام...!!.

ولكن طبعته في بيروت لم تكن على ذلك النحو الذي كنت أتطلع إليه لمثل هذا الكتاب، بيد أنه كان لا بد من الانتظار ريثما تمتص الأسواق تلك الطبعة، لتقديمه من جديد في طبعة مرضية. أي كان لا بد من مرور بعض الزمن.

وفي أثناء ذلك حدثت تغيرات كثيرة، منها مثلاً أن مُعدّ الكتاب الأستاذ (عامر) صاغ عبارة إهدائه إلى الملك خالد.. وإلى ولي وعهده - آنذاك - الأمير فهد.

فكان أن انتقل الملك (خالد) إلى رحمة الله تعالى، وأصبح الأمير فهد هو ملك البلاد وخادم الحرمين الشريفين.

وقد أشار الأستاذ (عامر) في مقدمته أيضاً إلى الملك خالد رحمه الله، وأثنىٰ عليه بما يستحق، وأكد إهداءه الكتاب إليه وإلى ولي عهده الأمير فهد.

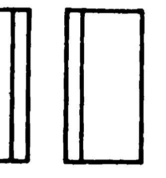
وقد حافظت اليوم على عبارة إهدائه ومقدمته كما وضعها.

وكان من التغييرات التي حدثت أن انتقل الأستاذ (عامر) أيضاً إلى الدار الآخرة تغمده الله برحمته.

والآن.. وقد اعتقدت أن الكتاب في طبعته الأولى تلك التي تمت في بيروت، قد أصبح العثور عليه غير متاح.. فقد بعثته من جديد، وأنا ما زلت مؤملاً أن أكون قد أديت بعض واجبي.. ناشراً يهمه أمر بلده وتاريخه، ويهمه أيضاً أن يعنىٰ بتراث الرواد الكبار من أعلام عصر النهضة الأدبية، وفي مقدمتهم (عباس محمود العقاد)، كما يهمه ثالثاً.. أن يقوم ببعض واجب الوفاء للأستاذ الصديق (عامر العقاد).

الرياض
غرة جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ

عبدالعزيز الرفاعي



الإهـــداء

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

خالد بن عبد العزيز، أيده الله ورعاه.

وإلى نائبه الأول وولي عهده السعيد:

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير:

فهد بن عبـد العزيــز.

نـرفع هـذه الصفحـات التي سجلهـا قلم المفكـر الإسلامي الكبير عباس محمود العقاد ناثراً فيها ذكرياته وخواطره بعد زيارته لأرض المعجزات وتشرفه بمصاحبة العاهل الراحل المغفور له جلالة الملك الوالد: عبد العزيز آل سعـود عند زيـارته لمصـر عام **١٣٦٥** هـ ـ **١٩٤٦** م.

... إنها صفحات يشيد كاتبها بنمط عظيم من سمو النفس والمقدرة على البناء.

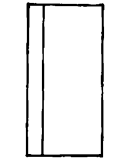
عَامِرالعَقّـاد

«إن ابن سعـود من أولئك الـزعماء الـذين يراهم المتفرسون المتوسمون فلا يحارون في أسباب زعامتهم وعظمتهم ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا:

لماذا كان هؤلاء زعماء؟ لأن الإيمان باستحقاق هؤلاء لمنزلة الزعامة في أقوامهم أسهل كثيراً من الشك في ذلك الاستحقاق».

العَقّـاد

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدّمة

لا جدال في أن الآية التي تتجلى فيها حياة العظماء هي امتداد الأثر بعد الحياة، فلا تنتهي آثار العظيم بانتهاء السنين التي يقضيها في هذا العالم.. عالم الحياة الدنيا، ولا تقف هذه الآثار عند حدود البلاد التي نشأ فيها، فهي على اختلاف الصفات والأعمال قوة تتخطى حدود الزمان والمكان، ولا تزال علماً من أعلام الهداية التي يستنير بها بنو الإنسان في قومه وغير قومه، وفي زمنه وغير زمنه، أعماراً طوالاً بعيدة الآماد هي التي اصطلح الناس على تسميتها بالخلود.

ذلك مقياس من مقاييس تقدير العظمة التاريخية عند أستاذنا الراحل عباس محمود العقاد. فقد كان يرى أن جوانب العظمة الفردية في بني الإنسان خليقة بالتجلة

والتقدير. وأننا مطالبون بأن نرفع صـــور العظماء إلى مكان التجلة والتقدير. . وذلك لأننا في زمان يوجب علينا ذلك. إذ أن الأسباب التي تغضّ من وقار العظمة لم تزل تتكاثر عفواً في بعض الأحيان، وقصداً في أحيان أخرى.

إن الإنسانية لا تعرف حقاً من الحقوق إن لم تعرف حق عظمائها، بل إنها ليست بشيء إن كانت العظمة في قديمها وحديثها ليست بشيء.

لقد كان ذلك كله من الدوافع التي دفعت بالمفكر الإسلامي الكبير - وأعني به أستاذنا العقاد رحمه الله - إلى أن يثري المكتبة العربية الحديثة، والمكتبة الإسلامية بوجه خاص بتلك السير والتراجم عن عظماء الإسلام ابتداء بسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، عليهم رضوان الله أجمعين. ثم دراساته الأخرى عن جيل الصحابة الأفاضل، وعن أبرز القادة من جنود الله أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، الذين قادوا جيوش الإسلام إلى البلدان والأمصار وتحقق النصر على أيديهم للإسلام والمسلمين.

﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين. . . ﴾.

وحتى زعماء الأمم ورجالات الإصلاح لم يدع العقاد دنيانا قبل أن يوفيهم حقهم من الكتابة والدراسة وحسبنا كتاباته عن سعد زغلول، ومحمد علي جناح، وغاندي، وصن ياتسن، ومحمد عبده، والكواكبي، وغيرهم.. وغيرهم..

تلك سمة من سمات المدرسة العقادية البارزة في أدب التراجم والسير في القرن العشرين.

ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك بعضاً من المفكرين قد عابوا ذلك المذهب العقادي في كتابة السير والتراجم، فوصفوها بأنها جاءت أشبه بقصائد الثناء، ففيها يحفل العقاد بجوانب العظمة والتفرد ولا يحفل بما في أصحابها من عيوب!!.

إنه انتقاد يكون له وجه لو كان ثناء العقاد على تلك الشخصيات لخصال ليست فيهم، أو لأنه يثني عليهم دون أن يبين دواعي الثناء على أخلاقهم وأفعالهم، أما وأن تراجمه ودراساته قد تضمنت كل ذلك فعندئذٍ يكون ما وجه إليها من انتقاد لا يقوم على ساق.

يقال إن لكل شيء آيته التي لا تتجلى إلا فيه. وآية

العظمة في موازين الإنصاف، أن يعمل الإنسان عملاً لم يقدر عليه الملايين من قبله، ولا يفهم من هذا القول أن العظيم مطالب بأن يعمل كل شيء، أو أن يعمل كل ما أراد، لأنه لو قيست عظمة الأبطال الأفذاذ بمقاييس كهذا المقياس، لما بقي في التاريخ الإنساني عظيم واحد، فما من بطل أو مؤسس يعفى الناس من العمل بعده، وما من بطل حقق أمانيه كلها في حياته، وإنما البطولة أن ينهض فرد بأعباء الألوف، وأن ينسى نفسه ليذكّر الناسين وينبّه الغافلين.

وعلى أساس تلك المقاييس وبها في نظر العقاد يرتقي العظيم إلى الذروة العليا من الإنسانية الرحبة فيستحق حقه من أمته، وغير أمته، وقد يكون حقه من أمته متصلاً بالمنفعة والأثرة، أما حقه من غيرها فهو حق الأمانة لنفسه ولأبناء نوعه ما دامت الثقة بالطبيعة الإنسانية شيئاً يعنيه.

وشخصية صاحب هذه السيرة المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود شخصية بينة المعالم واضحة لا تختلط بغيرها، فهي تظهر دائماً بسمات خاصة فيها، ولا يختلف اثنان في أنها من تلك الشخصيات التي يعرف الناس فيها

ذلـك النمط الصـانـع للتـاريـخ، والمؤسس للدول والممالك. . . أولئك الذين تقف شخصياتهم لا تطغى عليها البيئة فتدغمها في غيرها، وإنما تحتفظ بكيانها المستقل لأن لها خصائص وعلامات تنجيها من الفناء في الشخصيات الأخرى.

روى العقاد عن جلالته: أنه حينما ناقشه في مسألة جامعة الدول العربية عام ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٦ م أن جلالته قال له عنها:

«إنها منار لنا ـ أي العرب ـ لأنها تصدر في أعمالها عن بحوث مشتركة بين ذوي الرأي والبصيرة يرون في جملتهم ما لا يراه أهل كل بلد على انفراد، وإنها دريئة للدول العربية لأن حجة الدولة التي تحتج بقرار الجامعة قائمة، وعذرها فيما ترضاه أو تأباه مقبول».

* * *

يقال إن ألسنة الخلق أقلام الحق.

كلمة سائغة ليس أصدق منها إن صدقت، وهي صدق في كثير من الأحيان، وهي صدق في جميع الأحيان حينما يرسلها المتحدث عن جـلالة الملك الـراحل،

مؤسس المملكة العربية السعودية ورائد النهضة فيها عبد العزيز بن سعود.

فقد استطاع أن يشيد ملكاً عظيماً تمتد إحدى ذراعيه على البحر الأحمر، والأخرى على الخليج العربي فتضم ما بينهما.

ومن هنا يمكن للمؤرخ أن يصفه بتلك الصفة التي تليق بأمثاله من عظماء الدول والممالك، مؤسس عظيم.. وضع الأساس ثم أقام عليه البناء، فقد استطاع جلالته أن يفتتح تاريخاً ويستهل حضارة وينشىء حكومة ويرتب لها الدواوين.

إن أوجز ما يقال فيه إنه وضع دستوراً لكل شيء تركه قائماً على أساس لمن يبني عليه من بعده.. ذلك الدستور هو دستور القرآن الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.. حقاً لقد أسس العاهل الراحل دولته على الإيمان وسندها بالصولجان، فكان بناؤه أرسخ بناء.

يروى عن جلالته: أنه عندما نشبت الحرب، وقلت واردات البلاد من الأزواد والأرزاق، خاف على الرعية

جشع التجار فرتب لكل فرد ـ ما عدا الموظف والغني ـ طعامه وذلك من حسابه الخاص، كما افتتح مراكز تموين حكومية ملأها بمطالب الناس من طعام وشراب، ولم يمنع التجار الجشعين من زيادة الأثمان، بل تركهم أحراراً يعملون ما يشاءون فمن باع بالثمن الذي يبيع به مركز التموين باع، وإلا وقفت حركة البيع والشراء عنده، لأن الناس لن يتركوا الرخيص إلى الغالي، فالتجار مضطرون إلى البيع أو إلى إغلاق متاجرهم إن أرادوا، ويباح لكل امرىء أن يشتري ما يريد بدون تحديد للكمية حتى أصبح الخزن عبئاً لا فائدة منه.

إن أقل ما يقال في عمل جلالته هذا إنه غير معهود في التاريخ بالنسبة لتلك البلاد، ولكن الشعب السعودي عهده في زمنه، وليس في هذا غرابة في سيرة جلالته التي التقت فيها جملة من الصفات الكريمة، وهي صفات شتى لكل منها اسم خاص، ومدلول خاص، ولكن المتلقي واحد بعد هذا المطاف وقبله فهي تتصل ببعضها لسبب أو بأسباب.

* * *

إن سطور التاريخ الحديث وكتابات المؤرخين، تتحدث عن آل سعود قبل مائتي عام؛ فنعرف منها أنهم ناصروا الدعوة الجديدة إلى التوحيد، أيام عاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى نجد، ونظر فإذا الناس من حوله لا زاجر لهم من دين أو نظام، أتباع أهواء، كل حرب لكل فقال:

ـ إن لم يكن الوازع لهم من سلطانهم، فليس الوازع من إيمانهم.. إنهم في خصام فليؤمنوا بدعوة السلام كل أخ لكل.

وانتشرت الدعوة تؤيدها القوة، فتكاثر جمع المتدينين وكان لآل سعود من السلطان في ذلك العهد ما كان.

كانت ولادة عبد العزيز في الرياض عاصمة الآباء والأجداد عام ١٨٨٠ ميلادية، فلم يكد يعي حتى سمع السمار يتحدثون عن ملك ذهب، ودولة طغى عليها عدوان جيرانها.

لقد كان آل الرشيد تغلبوا على آل سعود، بل لقد وجد عبد العزيز نفسه محمولاً على بعير في رحلة مع أبويه وخاصتهما، يبرحون الرياض ويضربون في الآفاق،

نائين عن أعين آل الرشيد، يقيمون في ضيافة هذه القبيلة حيناً، وفي الربع الخالي حيناً آخر، ثم يلقون عصا التسيار في الكويت، ويترعرع عبد العزيز هناك.

ومع الأيام أبت نفس عبد العزيز الوثابة إلا أن تثب، لقد خلق لغير ما خلق له غيره من أبناء جيله... إن عليه أن يعيد ملك الآباء، وعليه أن يقيم ذلك الملك على دعائم قوية تمر بها الأعاصير وهي شامخة.

استرد الرياض في مغامرة هي أشبه بالأساطير منها بالوقائع، وانتزع الخرج والحريق والحوطة والأفلاج ووادي الدواسر من شدقي عدوه.

ومضى يدفع غارات ابن الرشيد بيد، ويؤسس باليد الأخرى قواعد الملك. وتألب الترك وآل رشيد عليه بعد استيلائه على القصيم، فكانت له معهم ملاحم «البكيرية» الشهيرة وخرج منها يطارد عدوه حتى رآه صريعاً بين يديه الكريمتين.

وعمدت سياسة الترك لضرب سلطان نجد بشريف مكة، فأمدت هذا بالمال والرجال فزحف إلى أطراف نجد وكانت لا تزال للترك قلاع في الإحساء والقطيف،

فكان رد ابن سعود عليهم أن اكتسح لهم تلك القلاع اكتساحاً، وكأنه الإعصار الذي لا يبقي ولا يذر، وتنمر آل عائض في عسير. . وقامت للأشراف دولة في الحجاز. فتلفت عبد العزيز فلم يكن أمر «عسير» بالعسير وكانت له دولة الحجاز.

خلص الملك لابن سعود في نجد والإحساء والقطيف والحجاز وعسير وتهائم اليمن. واستطاع ـ بفضل الله ـ أن يضرب بيد من حديد على كل قوة طائشة تهدد كيان الملك. فأخضع العصي، وآمن الخائف. . فكان الاستقرار والسلام، وكان الأمن والأمان الذي لم تألفه تلك الأقطار منذ أزمان وأزمان.

إلا أن الفتنة قد بدأت ترفع رأسها فهبت الثورة، بل ثورات. . ثورة في نجد قام بها الدويش وابن بجاد وابن حثلين، وثورة أخرى في شمال الحجاز تزعمها ابن رفادة، وثورة ثالثة إدريسية في الجنوب.

وهنا حالف التوفيق القائد الموفق الموَفِق فقد ذهب الدويش وصاحباه ومن معهم مع الرياح، أما جموع ابن رفادة فقد قيل إنه لم يخرج منهم حي. . واندرست دولة الأدارسة، وكان لصداقة الأخوين في صنعاء وفي الرياض

ثمن.. وأي ثمن.. حتى لأنه قيل يومذاك:

ـ لو كتبت معاهدة لوزان بالقلم الذي كتبت به معاهدة الطائف ما نشبت حرب العالم الثانية.

هذه لمحات خاطفة عن ابن سعود الذي عاش لطاعة ربه، ولأبناء مملكته الذين كان يعد نفسه مسؤولاً عن كل فرد من رعاياها، وكأنما هم من أبنائه وذوي رحمه.

إنه منشىء عرف كيف يبني، وإنه لمؤسس عرف كيف يضع الأساس.

كلمة صادقة كل الصدق.. ذلك لأن كل خطوة تقدمت بها المملكة العربية السعودية في مضمار الحضارة أيام تولى الملك من جاءوا بعده من الأبناء الكرام هي ثمرة من ثمار تجاربه البناءة.

لقد سلخ الأتراك خمسمائة عام أو يزيد في بعض أطراف الجزيرة جاهدين لتحضير آحاد من البدو فلم يفلحوا.. ولكن بفضل ابن سعود وخلفائه انقلب العدد الكبير من أهل تلك الخيام والمضارب إلى سكان مستقرين في القرى والمدن.

عشرات الآلاف من السنين مرت بالجزيرة العربية قل

أن عرفت فيها الطمأنينة في تاريخها الطويل، ولكنها بفضل عبد العزيز وبفضل أفراد الأسرة السعودية الكرام من خلفائه أصبحت آمنة مستقرة.

أربعة وخمسون عاماً عاشها عبد العزيز في المملكة لم يختلف يوماً منها برنامجه ونظامه إلا لطارىء من طوارىء الزمن... أربعة وخمسون عاماً يتلى بين يديه ساعة معينة كل يوم منها فصل من التفسير، وفصل من التاريخ يختم على الأكثر بالمناقشة في أهم ما اشتمل عليه.

لقد كانت مجالس ابن سعود العامة والخاصة... الرسمية وغير الرسمية مجالس علم وأدب، وثقافة ودين.

وقد ورث الأبناء عن جلالته تلك الصفات في مجالسهم.. فهي لا تزال زاخرة بالعلم والعلماء وبالأدب والأدباء وبالدين ورجالاته وبالثقافة وأعلامها...

وقد حظيت بأن شهدت بعضها خلال زياراتي للمملكة العربية السعودية منذ سنتين تقريباً.

إن التاريخ في مجراه سيظل يسجل للعظماء والمبرزين سيراً وتراجم ولكن الذي ـ لا ريب فيه ـ أن

صفحة العاهل الكبير المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ستظل متفردة بين تلك الصفحات، لأنه الرجل الفرد العظيم الذي عمل لرعاياه ما لم يكونوا قادرين على عمله بأنفسهم فلا يكاد يساويه ميراث عظيم من عظماء التاريخ الإنساني الحديث في العالم الإسلامي كله.. وسيظل أمام المؤرخين عملاقاً من عمالقة التاريخ العربي الذين أسسوا الممالك، وأقاموا البنيان على خير ما يقام، وشيدوا الدول على أحسن ما يكون التشييد في العصور الحديثة.

لقد كان العاهل الكبير عدة رجال في رجل واحد. . . ولقد صدرت مئات الكتب بمختلف اللغات كلها تتحدث عن جوانب شخصيته، ولا شك أن المكتبات ستستقبل عدة كتب أخرى تتحدث عن تلك الشخصية النادرة.

إن الصورة المجملة من جميع صور الكتابة المختلفة ستظل جميعها مجمعة على صورة واحدة للعاهل الراحل، وهي صورة الرجل العظيم المليء بمعدن العبقرية والامتياز بين الناس على اختلاف العصور.

إن تاريخ العاهل الراحل وتاريخ المملكة العربية

السعودية لا يفترقان. . . فإذا بدأت به فقد بدأت بفصل من تاريخها العظيم. . ولن يطول بنا الاستطراد لأننا سنثوب إليه كرة أخرى.

وفي هذا «الكتيّب» يتحدث لنا كاتب العبقريات الإسلامية أستاذنا العقاد عن عاهل الجزيرة العربية، ومؤسس الدولة السعودية، وباعث نهضتها الحديثة، ومفجر طاقاتها البشرية والمادية.

فقد عرف العقاد جلالة الملك عبد العزيز فلمس جوانب من عبقريته الفطرية التي أجمع مؤرخو التراجم والسير في العصر الحديث على أنها من أعظم العبقريات السياسية والإصلاحية التي ظهرت فيه.

وبعد. . . فقد كان شيئاً طيباً وحسناً من الأستاذ الأديب الكبير عبد العزيز الرفاعي - متعه الله بالصحة وطول العمر - أن يقترح عليّ أن تتضمن «المكتبة الصغيرة» في أحد أعدادها ما كتبه أستاذنا العقاد عن المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على إثر زيارته للمملكة العربية السعودية ضمن بعثة الشرف المصرية التي سعدت بمرافقة جلالته عند زيارته الكريمة لمصر في عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ م.

وهأنذا ألبي ذلك الاقتراح الكريم الطيب راجياً الله سبحانه وتعالى أن تنال هذه الآراء والمقالات والذكريات التي كانت بين مؤلف العبقريات الإسلامية أديب مصر العملاق وبين المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ المكانة اللائقة بها في المكتبة العربية والتاريخية.

إن العاهل الكريم سيظل حياً بأعماله الجليلة التي تجسدت في المملكة العربية السعودية، فهو على الرغم من لقائه لربه في ربيع الأول **١٣٧٣** هـ ـ **٩** نوفمبر **١٩٥٣** م إلا أنه حي بابنه العظيم جلالة الملك المعظم:
خالد بن عبد العزيز

الذي يحمل راية الأمة الإسلامية بعد شقيقه المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز، مجاهداً في سبيل الحق،

وحياً ببقية الأبناء البررة حضرات أصحاب السمو الملكي الأمراء.

فإلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم: خالد

ابن عبد العزيز، وإلى ولي عهده السعيد حضرة صاحب السمو الملكي الأمير: فهد بن عبد العزيز.

وإلى فروع الدوحة السعودية البررة الكرام نهدي هذا الكتاب عن العاهل الراحل مؤسس المملكة العظيم.. فهو رمز العرب والمسلمين.

وهذا الكتاب عندما نهديه إليهم فإنه يهدى إلى كل عربي وكل إنسان ظللته هذه السماء وأقلته هذه الغبراء.

عَامِر العَقّاد

مصر الجديدة:
١٩ جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ
٧ مايو ١٩٧٧ م

ظروف الرحلة

كانت عقارب الزمن تشير إلى مطلع يناير من عام ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، وهو الشهر الـذي تناقلت فيـه وسائل البرق والإعلام أخبار وأنباء زيارة العاهل الكبير لمصر.

وكان على القائمين في الحكم يومذاك أن يرحبوا بتلك الزيارة الملكية الكريمة، التي تسعد خلالها الكنانة بزيارة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لها ولشعبها الكريم.

كما كان على الشعب المصري أن يقيم الزينـات ويرفع أقواس النصر والأعلام السعودية والمصرية للزائر الكبير حامي حمى الحرمين.

فشكلت الحكومة المصرية يومذاك لجنـة من كبار رجـال الـدولـة والحكم في مصر لتكـون في شرف مصاحبته في الزيارة لمصر من ميناء جدة حتى ميناء السويس.

وكان الأستاذ عباس محمود العقاد ضمن بعثة الشرف هذه ممثلاً لمجلس الشيوخ المصري حيث كان عضواً فيه، وممثلاً كذلك لرجال الفكر والأدب وأرباب القلم.

وفي يوم ٢ يناير ١٩٤٦ م سافرت البعثة من ميناء السويس على ظهر اليخت الملكي الشهير «المحروسة» والذي كان يضم مراد محسن «باشا»، وإسماعيل تيمور «باشا»، والقائمقام محمد حلمي حسين، والمستشار الصحفي للقصر الملكي المصري آنذاك السيد كريم ثابت «بك».

وفي اليوم السابع من يناير وصلت البعثة ميناء جدة، وكان في استقبالها معالي الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية، والشيخ يوسف ياسين وكيل الخارجية، وغيرهم من كبار رجال المملكة، ثم قصدوا جميعاً قصر «خزام» العامر، وكان في استقبالهم هناك سمو الأمير منصور بن عبد العزيز[١] والأميران محمد بن عبد العزيز[٢] وخالد

---

(١) ولد في الرياض ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م تولى إدارة القصر الملكي وكان أول وزير للدفاع وتوفي مستشفياً في باريس ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م ودفن بمكة المكرمة.

(٢) ولد في الرياض ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م منحه والده لقب أمير =

ابن عبد العزيز[1] ومعهم لفيف من الوزراء المفوضين ورجال السلك القنصلي من العرب والأجانب.

وفي المساء وصلت البعثة إلى مكة المكرمة وهي في ثياب الإحرام للزيارة والاعتمار والتشرف بعد أداء المناسك بالسلام على جلالة الملك عبد العزيز في قصره العامر بمكة المكرمة.

وقد خصصت الحكومة السعودية قصر «الكندرة» بجدة لبعثة الشرف يبدلون فيه ملابسهم قبل المسير إلى الحرم الشريف بمكة المكرمة، وتولى الإشراف على راحتها المغفور لهما صاحب المعالي الشيخ يوسف ياسين وزير

= المدينة المنورة. شارك في موقعة (السبلة) ومطاردة فلول ثورة الدويش ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٠ م وقد تنازل عن ولاية العهد لأخيه خالد بن عبد العزيز.

(١) ولد في الرياض ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م صحب شقيقه المغفور له الملك فيصل بن عد العزيز في بعض رحلاته الرسمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية. تولى بناء رئاسة الوزراء. وعندما تولى فيصل عرش المملكة كان ولياً للعهد وهو شقيق للأمير محمد. وقد آثره الأمير محمد على نفسه بولاية العهد. تولى الملك خلفاً للمغفور له فيصل - مد الله في عمره -.

الدولة آنذاك والأستاذ المرحوم فؤاد شاكر مدير المطبوعات وقتذاك.

وذكر الأستاذ عباس العقاد لنا أن نصيبه في ركوب السيارات كان في سيارة الوزير المفوض عوض البحراوي الذي علم العقاد منه كل ما احتاج إلى علمه من المعالم والأصول فوصل إلى مكة المكرمة بزاد غير قليل من المعرفة العملية بالحجاز.

كما ذكر العقاد أن جلالة الملك عبد العزيز؛ كان لا يغفل الفكاهة في بعض أحاديثه الخاصة، وهذه آية من آيات العظمة الإنسانية كما يراها العَقاد، فالعظيم الذي لا يطرب للفكاهة ليس بعظيم، وقد سجل العقاد هذا الجانب في شخص العاهل الراحل في أحد مقالاته التي كتبها عقب زيارته الملكية الكريمة لمصر تحت عنوان «في جو العروبة مع عاهل الجزيرة العربية»، وهذا المقال يراه القارىء في موضعه في الصفحات التالية من هذا الكتيّب صفحة (١٠٣).

وذكر العقاد ـ أيضاً ـ أن الفكاهة المصرية في ليلتهم الأولى بيخت «المحروسة» على متن البحر الأحمر كانت

موضوع حديثهم مع العاهل الكبير، كما ذكر أن الله سبحانه وتعالى قد بارك في الرحلة من بدايتها إلى نهايتها فالبحر ـ رغم أن الزمن كان زمن الشتاء ـ إلا أنه كان أشبه بالنيل في أيام الصفو والهدوء . . .

ويذكر العقاد أن السماء كانت في الليلة الأولى على الخصوص صافية مصحية فلم تحجب عنهم ذخيرة واحدة من ذخائرها الكثيرة، وعلى الرغم من أن الليلة لم تكن من الليالي القمراء إلا أنها قد عرضت عليهم السماء بكل ما وسعت من جواريها وثوابتها على السواء، ولم تدع عندها نجماً بعيداً أو قريباً لتستره في الخفاء، ولذلك فقد صعدوا إلى سطح اليخت الأعلى عند «مرقب» الربان ليتملوا بأعينهم ونفوسهم ذلك المنظر الجميل، وكانوا وكأنهم يرتفعون من الماء إلى الآفاق العلوية لأن الإنسان في الماء أقرب ما يكون إلى السموات والأفلاك، فهي الدليل الذي يستقبله هناك حيث يسير.

روى العقاد أن رجال البعثة وكبار موظفي «المحروسة» عندما مثلوا بين يدي جلالته عقب تشريفه اليخت الذي شرع في مغادرة ميناء جدة قاصداً مصر قال لهم جلالته:

ـ إن الحديث يهوّن الطريق.. ثم قال لهم: أتعرفون قصة «حق وطبقة»؟.

إن حقاً هذا... كان فتى يصاحب شيخاً في سفر طويل. فقال الشيخ في أول الطريق: أتحملني أم أحملك؟!.

فلم يفهم الشيخ مراده وقال في نفسه: ما هذا الفتى إلا مخبول، وما حاجته إلى حملي أو حمله وكلانا يمتطي ذلوله ويحمل زاده.

ولم يجاوزا غير قليل حتى عبرا بقوم يزرعون أرضاً لهم فسأل الفتى الشيخ:

ـ أتراهم يزرعون لأنفسهم أم يزرعون لغيرهم؟.

فصح عند الشيخ أن الفتى مخبول ما في خباله ريب، يرى قوماً يزرعون بأيديهم في أرضهم ثم يسأل: أيزرعون لأنفسهم أم يزرعون لآخرين؟.

وكانت ثالثة الأثافي أنهم عبروا بجنازة تشيع ميتاً في نعشه، فعاد الفتى إلى أسئلته الغريبة وقال للشيخ:

ـ أميت هذا الذي يحملونه أم حي لا يموت؟.

فما بقيت في نفس الشيخ ذرة من الشك في جنون الفتى.

ودخل إلى منزل وفيه بنته «طبقة» فأعاد عليها حديث الفتى وهو يتهم عقله لتعرفه فتعامله معاملة المجانين. . .

قالت «طبقة»:

ـ ما هذا الفتى بمجنون يا أبتاه، ولكنه ذكي بالغ الذكاء، وإنما سألك أتحملني أم أحملك؟! وهو يعني أن تحدثه أو يحدثك فيهون عليكما تعب الطريق.

وسألك عن الزرع ألأهله هو أم لغير أهله؟! وهو يعني الديون التي تذهب ثمرات الزراعين والعاملين.

وسألك عن الميت وهو يعني بالحياة الذكرى والذرية، فإذا ذهب الرجل دون أن يذكر بحسبه أو ذرية صالحة فقد مات وانقضى، وإلا فهو في عداد الأحياء.

كما روى العقاد أن جلالته قد حدثهم عن ذكرياته في أيام الجهاد وحدثهم عن الجامعة العربية وما يقدر لها من التوفيق في يوم الاحتفال بعيد جلوسه، فقد قص جلالته عليهم كيف استرد الرياض بنحو أربعين رجلاً منهم ستة اقتحم بهم الأسوار تحت ظلام الليل فسأل جلالته زميلنا

كريم ثابت: وماذا كان رأي والدكم يا صاحب الجلالة بعد فتح الرياض؟.

فابتسم جلالته وقال وقد بدا على وجهه التأثر والحنان:

ـ رحمة الله على والدي، لقد كان يعاملني كأنني أنا الوالد وهو الولد، وما رأيت قط معاملة كهذه بين الآباء والأبناء، أو بين الأخوة والأقربين.

ذكرنا قبل سطور أن المغفور له جلالة الملك عبد العزيز قد حدّث العقاد وبقية البعثة عن ذكرياته في أيام جهاده في يوم الاحتفال بعيد جلوسه.

وقد تصادف أن كان يوم عيد جلوسه في يوم ٥ صفر ١٣٦٥ هـ ـ ٩ يناير ١٩٤٦ م وهو يركب البحر في طريقه لزيارة مصر، فكانت فرصة طيبة للعقاد أن يلقي بين يديّ جلالته واليخت الملكي يمخر عباب البحر الأحمر تلك القصيدة العصماء التي قوبلت من جلالته ومن السادة الأمراء الذين سعدوا بمرافقته في تلك الرحلة الكريمة مقابلة طيبة تليق بمكانة العاهل الراحل.

أذكر أنه خلال زيارتي للمملكة العربية السعودية في عام ١٣٩٦ هـ، جمعتني جلسة بحضرة صاحب السمو

الملكي الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز - أمير منطقة المدينة المنوّرة زادها الله تشريفاً - أنني وجدت سموه لا يزال يحتفظ في ذاكرته الشاعرة بأنباء تلك الرحلة الكريمة، ولا سيما تلك القصيدة العصماء التي أنشدها العقاد بين يدي والده العظيم في عام **١٣٦٥ هـ**، فقد كان سموه ضمن السادة الأمراء الذين سعدوا بمرافقة الوالد في تلك الرحلة الكريمة للأراضي المصرية، وقد أخذ سموه يستعيد من الذاكرة على مسمع مني ومن لفيف من أدباء المملكة كانوا يشاركونني في الجلسة مع سموه أبياتاً من تلك القصيدة رغم مرور ما يزيد عن الثلاثين عاماً منذ أنشدها العقاد بين يديّ جلالة والده العاهل الكبير، يقول العقاد في تلك القصيدة العصماء:

أسد العرين يخوض غيل الماء
يا بحر راضك قاهر الصحراء
حياه باديها وحاضرها معاً
فاغنم تحية يومه الوضاء
يوم من البشرى يردد ذكره
ركب السفين وجيرة البيداء

* * *

عش يا طويل العمر عيش معمر
تحيا به أمم من الأحياء
ما خص طالعك الرياض بيمنه
بل فاض من عمم على الأرجاء
حق المواطن حين يذكر عهده
في الحمد والتبريك حق سواء
لا غرو نذكره ونهتف باسمه
في هذه الآفاق والأجواء

* * *

إن الذي غمر المليك بفضله
ساق البحار إليه في البشراء
لم يقترن بالبحر عيد جلوسه
إلا لعمر زاخر ورخاء
وإذا به عبد العزيز بطلعة
كالبدر بين كواكب الأمراء
وأرى السماء تأملت مرآتها
في الماء فانطبعت على الخضراء
أرض النبوة حين تم فخارها
خلعت عوارفها على الدأماء

* * *

ملك أناف على العقول بعزمة
وأتم ذاك بما يراه الرائي
جمع المهابة في العيون وفي النهى
وسما بمجد أبوة وإباء
يرعاه بارئه ويحرس ركبه
في كل أرض تحت كل سماء
الشرق والإسلام قد سعدا بمن
يعلو بآلهما إلى الجوزاء
في ظل «فاروق» وظل صديقه
عبد العزيز يتم كل رجاء

وقد ذكر العقاد أنه خلال تلك الرحلة الخالدة عرضت لهم مسألة فقهية أثناء جلوسهم مع جلالة الملك عبد العزيز فقال جلالته يومذاك في تواضع جم:

ـ إن الغزوات والحروب لم تدع لي وقتاً للتبحر في العلوم، ولكن الذي تبحر فيها هو هذا فهو أعلم الأخوان وأشار إلى أخيه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله.

وقد روى العقاد أن الألمعية كانت تبدو فعلاً على وجه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن من النظرة الأولى، وأن

نصيبه من الدراسات الإسلامية ومبادرته بالفتاوى المسندة عن كل مسألة استطرد الحديث إليها يومذاك قد كان وافراً.

ويذكر العقاد أنه حضر لسموه مناقشة دارت بينه وبين الرحالة عبد الله قلبي عن قيمة الحفريات والأحجار المكتوبة في الدلالة التاريخية كان سموه فيها مدافعاً محسن الدفاع وصاحب منطق غلاب ـ على حد قول العقاد ـ.

كما كان من الأشياء التي بهرت العقاد من آل سعود مبلغ ذلك الاطلاع الذي لمسه شخصياً بالنسبة للسادة الأمراء الذين صاحبوا العاهل الكبير في تلك الرحلة المباركة، فقد لمس فيهم عن قرب اطلاعهم على أحوال مصر وأخبار عظمائها وعلمائها وذوي النباهة والشأن من أهلها، ويعقب العقاد قائلاً: إن ذلك الاطلاع لم يكن مقصوراً على الكبار من السادة الأمراء من آل سعود، لكنه قد عم الصغار في السن منهم، فقد رأى دلائله فيمن لم يجاوز منهم الخامسة عشرة أو جاوزها بقليل في تلك الأيام.

وقد خص العقاد بقلـمه السادة الأمراء من آل سعود بمقال ضمنه ذكرياته عنهم ومعهم نشره بمجلة «روز اليوسف» عقب عودته من الرحلة الملكية الكريمة وذلك بتاريخ ١٣ صفر ١٣٦٥ هـ - ١٧ ينايـر ١٩٤٦ م يراه القارىء الكريم في الصفحة (٦٩) من هذا الكتيّب.

وحتى حب العاهل الراحل للرياضة لم يفت العقاد أن يتخذ منه موضوعاً لإحدى مقالاته عنه تناول فيه الأنواع التي يحبها جلالته منها كرياضة الصيد والقنص، وركوب الخيل، ورقصة الحرب وغيرها.

وكذلك نترك القارىء الكريم للاطـلاع على ذلك المقال الذي جعل له العقاد عنواناً «الملك الرياضي» في مكانه من هذا الكتاب حتى لا تفسد عليه متعته بالاطلاع عليه.

ولم يفت العقاد الكاتب الإسلامي الكبير أن يلتفت إلى نظام الحكم في المملكة العربية السعودية ونعني به نظام الشورى الذي نص عليه القرآن الكريم.. فهو نظام يحتكم بأحكام كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

فقـد اتخذه العقـاد موضـوعاً لإحـدى مقالاتـه هو

«الشورى في المملكة العربية السعودية» نشره بصحيفة «الكتلة» المصرية بتاريخ ١٩٤٦/١/١٦ يجده القارىء - أيضاً - في موضعه من هذا الكتاب.

وسيظل التاريخ يحتفظ بتلك الذكريات والسطور التي دبجتها يراعة مؤلف العبقريات الإسلامية عن العاهل الراحل المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الحمى الأمين من مستودع الذكريات في الضمائر والنفوس.. حقاً إنه كان - طيب الله ثراه - يجمع في نفسه أكبر ما يجتمع في أبناء قومه من الصفات.. فحق للناس أن يفهموا أن ابن السعود أكبر العرب، لأنه أكبر عربي في طبائع الأمة العربية كما نعرفها الآن.

حقاً.. لقد كان رجلاً عظيماً، ورجلاً عبقرياً وملكاً عظيماً سمح النفس، كريماً.

في الحرم

مجلة الرسالة العدد ٦٥٥
١٧ صفر ١٣٦٥ هـ
٢١ يناير ١٩٤٦ م

ركبنا البحر ونحن لا نعلم على التحقيق أين نلقى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، لأن برنامج الرحلة لا يشير إلى المكان.

فمن الجائز أن يكون في جدة، لأنها الميناء الذي ننتقل منه مع جلالته إلى يخت المحروسة، ولجلالته قصر منيف في أرباضها هو القصر المعروف بقصر (خزام).

ومن الجائز أن يكون في مكة المكرمة، لأن اليخت يصل إلى جدة قبل سفر جلالته بيومين.

فإذا كان استقبال البعثة الملكية في جدة فلا عمرة ولا إحرام، وإذا كان الاستقبال في مكة المكرمة، فقد وجبت العمرة ووجب الإحرام.

ولكن كيف السبيل إلى الإحرام؟ وكيف السبيل إلى خلع المخيط في الشتاء، وإن كان الجو في مكة أدفأ من جو القاهرة بدرجات؟.

إنني ألبس الصوف شتاء وصيفاً منذ خمس وعشرين سنة، وإذا صح أن «الصوفي» منسوب إلى الصوف، فليس على ظهر الأرض رجل أحق مني بهذه الصفة، فكيف السبيل إلى التحلل من هذه الصفة التي لصقت بالموصوف، فلا فكاك منها ولا فرار؟.

جاءنا النبأ في عرض البحر بأن صاحب الجلالة عاهل الجزيرة العربية يستقبلنا في قصره العامر بمكة المكرمة، فنوينا الفدية، ونوى أصحابنا الإحرام، ولم يبق معي بملابسه غير الأستاذ عوض البحراوي وزير مصر المفوض في المملكة السعودية، لأن الإحرام لا يلزمه، وإنما يلزمه أن يطوف بالكعبة عند مغادرة مكة طواف الوداع.

وقد خصصت الحكومة السعودية قصر «الكندرة» بجدة لتبديل الملابس قبل المسير إلى الحرم الشريف، وتولى الإشراف على راحة البعثة ومن معها صاحب المعالي الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة، وصاحب العزة فؤاد

شاكر مدير المطبوعات، فلما تهيأ أصحابنا للسفر تحرك الركب بالسيارات، فكان من نصيبي الركوب في سيارة الوزير المفوض عوض البحراوي، وهو رجل فاضل عرف أهل البلاد كما عرفه أهلها، فانعقدت بينه وبينهم صلات المودة والزمالة، وارتفعت بينهم الكلفة كل الارتفاع فيما عدا المراسم التي تقضي بها المعاملات الدولية، وقد عبر الطريق مرات فعلمت منه كل ما احتجت إلى علمه من معالمها وأصولها، ووصلت إلى مكة بزاد غير قليل من المعرفة العملية بالحجاز.

هذه جبال مكة.

وهذا جبل حراء.

بلغناه بعد ساعة ونصف ساعة من السير المعتدل في السيارة ومررنا إليه بمناظر كثيرة نرى أمثالها في بلادنا، ولا سيما بلدي الذي نشأت فيه، وأعني به أسوان، أما الجديد كل الجدة على النظر وعلى النفس فهو غار حراء.

هو قمة مرتفعة في جبل، كأنما بنيت بناء على شكل القبة المستطيلة إلى الأعلى، ولكنها عسيرة المرتقى لا

يبلغها المصعد فيها إلا من شعاب وراء شعاب.

أخبرني من صعدوه أنهم كانوا يعانون شديد العناء من وعورة مرتقاه، وأن القليل من الناس يصمد في صعوده إلى نهايته العليا، حيث كان الرسول عليه السلام يتنسك ويبتهل إلى الله.

والحق أن الرؤية غير السماع.

والحق أن ما يلمحه الناظر في نظرة خاطفة قد يعيى الكاتب بوصفه في الصحف والأسفار.

والحق أننا قرأنا ما قرأنا عن الجبل وعن الغار، ثم نظرنا إليهما، فعلمنا أن القراءة قد تركت الكثير من فراغ النفس لتملأه هذه النظرة العابرة في الطريق.

مررنا به عابرين كما كان سكان البلاد يمرون به غادين رائحين في غفلة من ذلك الرجل المفرد الذي يأوي إليه ويسكن إلى غاره.

كانوا في غفلة عن ذلك الرجل المتوحد في سبيل التوحيد، كما كان العالم كله في مثل تلك الغفلة، وفي مثل تلك الظلمات.

ولكنها كانت ساعات يرتبط بها تاريخ أحقاب ودهور، فلما انقضت مدتها لم يبق في الأرض المعمورة غافل عن ضيف ذلك الغار، أو جاهل بآثار تلك الساعات التي كان يقضيها فيه بالليل والنهار.

وحسبك نظرة واحدة إلى الجبل ومرتقاه لتحيط بعض الإحاطة بتلك النوازع المرهوبة التي كانت تنهض بالرسول في صباه إلى ذروة تلك القمة مرات بعد مرات وأياماً بعد أيام.

كل مرة من تلك المرات تترجم لنا عن قوة تلك البواعث المحتدمة في نفسه الشريفة، وترينا كيف بلغت هذه البواعث المحتدمة أن تدفع بالعالم كله في طريق غير طريقه، وإلى غاية لم تكن له من قبل في حساب، فلولا لاعج الشوق الإلهي ينهض بالروح والجسد نهضة لا تصير عليها طبيعة البشر لما توالت تلك المصاعد ولا تعاقب ذلك العكوف.

إن اللواعج التي حملت الرسول إلى مرتقى الغار هي السر الروحاني الذي استجاش العالم كله بعد ذلك في حركة دافقة تقتحم السدود وتخترق الأسوار والحدود.

وكل ذلك السيل الجارف إنما تجمع قطرات عند هذه القمة.

كل ذلك كان في هذا المكان.

* * *

عبرنا خاشعين مطرقين، وسكننا لأن مهبط الوحي هناك قد ألهمنا السكوت.

وكان آخر عند الكعبة كان له في قلوبنا مثل هذا الخشوع ومثل هذا الرجوع مع الزمن إلى أيام الرسالة وأيام الجهاد.

ذلك هو موقف الدعاء الذي كان الرسول عليه السلام يختار الوقوف فيه كلما طاف بالكعبة ودعا إلى الله.

أنت هنا ولا ريب في مقام قام فيه ذلك الرسول الكريم، ذلك السر السرمدي الذي تتعلق به مقادير التاريخ ومصائر الأمم ومصائر بني الإنسان، ذلك الإنسان الذي يقترن اسمه في صلوات الألوف بعد الألوف باسم خالق الكون العظيم.

أنت هنا تقف حيث وقف، وتدعو حيث دعا، وتنظر

حيث نظر، وتحوم بنفسك حيث حام في اليقظة لا في المنام.

قيل لنا: هنا يستجاب الدعاء.

قلنا: نعم، هنا أخلق مكان أن يستجاب فيه دعاء، وألهم الله كلاً من الواقفين معنا أن يدعو دعاءه، وأن يستجمع في الدنيا والآخرة رجاءه، وساق إلى لساني هذه الدعوة فدعوت.

ـ اللهم أولني ما أريد لي وللناس، واجعل الخير كل الخير فيما أريد لي وللناس. وما بي من حاجة في الحياة إذا استجيب هذا الدعاء.

منظر ثالث أخذني بجماله في جوار البيت الحرام، وهو منظر الحمام الآمن الوادع في ذلك المقام.

لا يخشى ولا يفزع، بل يظل طوال نهاره في طواف على الأرض، وطواف في الهواء.

وأعجب ما سمعت ورأيت أنه يطوف حول الكعبة ولا يعلو عليها فرادى ولا جماعات.

وقد سمعت بهذه الخاصة في حمام البيت قبل أن

أراه، فلما رأيته في طواف العمرة وطواف الوداع، تحريت أن أتعقبه في كل مذهب من مذاهب مطاره، فإذا هو كما سمعت يطوف ولا يتعدى المطاف إلى العبور.

أدب الناس في هذا المقام المهيب نعرف سره ونعرف مصدر الوحي منه إلى القلوب الآدمية.

أما أدب الطير في هذا المقام فسره عند الله.

مع الملك عبد العزيز في البحر

مجلة المصور في:
٢٥ يناير ١٩٤٦ م

إذا عرفت الملك عبد العزيز ثلاثة أيام فكأنك قد عرفته ثلاث سنوات، أو لازمته في أطول الأوقات.

لأن هذا الرجل العظيم مطبوع على الصراحة، ووضوح المزاج، لم تشتمل نفسه القوية على جانب من جوانب الغموض التي يحدث منها اختلاف الحالات وتناقض العادات، فهو في أخلاقه وأعماله ومألوفاته يمضي على وتيرة واحدة، ولا يواجه عارفيه في حالتي رضاه أو غضبه بخليقة لم تكن لهم في الحسبان.

وأول ما يدهشك من منظره قوة النفس والعقل والحس على السواء وهو الآن يناهز السابعة والستين[1]، ويحتفظ بجميع أسنانه كما يحتفظ بقوة عضليه لا تتوافر لكثيرين في سن العشرين أو الثلاثين.

---

(١) كان ذلك عمر جلالته يوم كتابة المقال في عام ١٩٤٦ ميلادية.

فجلالته منذ الصبا لا يميل إلى الإكثار من ألوان الطعام، ولا يحب الدسم ولا الحلوى، ويقصر غذاءه في معظم الوجبات على الأرز واللحم غير ناضج كل النضج، ويحب من الخضر «البامية» على الخصوص، ولكنه يكتفي منها بمرقها، وقلما يصيب من حباتها، وقد يشرب قليلاً من الماء على الطعام يحمله خادمه الأمين «مرجان» في كوب طويل ويقف به وراء جلالته ما دام على المائدة، ويتفضل جلالته فيناول الكوب من يختصهم من ضيوفه بالحفاوة والإكرام.

أخبرنا جلالته أنه منذ عشر سنين[١] لم يشرب ماء من غير عين «الجعرانة» في الحجاز وعين «البديعة» في نجد، وقد شربنا من مائهما فإذا هو ماء صاف سائغ المذاق، ونرجح أنه يحتوي بعض الخصائص المعدنية التي تساعد على هضم الطعام.

وربما استغنى جلالته عن شرب الماء بشرب اللبن المخيض بعد الغداء أو بعد العشاء. فيطلبه جلالته

---

(١) أي في عام ١٩٣٦ ميلادية لأن الزيارة لمصر كانت في ١٩٤٦ ميلادية.

أحياناً ويتناول منه جرعات، ويأمر به لمن حوله من الضيوف. . وهو غذاء طيب الطعم مفيد للجسم، قال الطبيب العالمي المشهور «منشينكوف» إنه من أفضل الأغذية لتطهير الجهاز الهضمي، وذكر أن أمم البلقان تطول فيها الأعمار لمواظبتهم عليه.

وجلالته يبكر بالإفطار، ويأمر بالغداء في الساعة الثانية عشرة ظهراً، ولا يتأخر عشاؤه عن الساعة السادسة في المساء.

ومواعيده في النوم واليقظة منتظمة في جميع المواسم والأوقات، فيستيقظ قبل الفجر، ويقضي نحو ساعة في التهجد وقراءة القرآن، ويصلي الفجر حاضراً، ثم يستقبل بعض خاصته لاطلاعه على مهام الأمور التي تتطلب التعجيل، ثم يغفى قليلاً ويخرج للناس.

ومن عاداته بعد العشاء أن يصغي إلى فصول من كتب التفسير والحديث، أو كتب الأدب والتاريخ، ثم تتلى عليه أخبار الإذاعة التي يتلقاها الموظف المنوط بها من أهم المحطات العربية والشرقية، فيعقب عليها أحياناً تعقيباً موجزاً يدل على بعد النظر وتتبع الأحوال السياسية في مشارق الأرض ومغاربها.

والملك عبد العزيز محدث طلق الحديث يرسل أحاديثه على السجية بغير كلفة ويعرب عن رأيه الصراح بغير مداراة، ومن صراحته المستحبة أنه يحث على الاقتداء بالأوربيين في الأمور النافعة والعلوم الحديثة، وفي المجال السياسي أيضاً، ويقول: إنهم يمكرون ونحن أمكر منهم ﴿ويمكرون ويمكر والله خير الماكرين!﴾.

وتدور أحاديث جلالته على الذكريات التاريخية والمواعظ الدينية والتعقيب على الحوادث الهامة والمسائل العالمية، ويستشهد بالآيات القرآنية في مواضعها، ويروي الأحاديث النبوية في مناسباتها، وقد يروي الأبيات من الشعر ويسوق العبر من النوادر والأمثال.

كان جلالته يصف لنا ربيع نجد وجمال الوهاد والروابي في أيامه، ويقول إن الأزهار والرياض كانت تفرش الأرض في تلك الأيام على مسافات طوال حتى ليحسب العابر بها أنه في دكان عطار تنفحه بمختلف العطور، ولا سيما بعد نزول القطر، ثم قال وهو يلتفت إلينا:

ـ إنه صبا نجد ورباه تغنى بهما الشعراء من قديم مشيراً إلى قول ابن الدمينة:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

وقول الأموي:

ألا يـــا حـبــذا نـفـحــات نـجــد
وريـــا روضـــه بـــعـــد الـــقـــطار

وقد كنت أود أن تتهيأ الفرصة لنستمع إلى جلالته العظيم وهو يتحدث عن ذكرياته في أيام الجهاد وعن الجامعة العربية وما يقدر لها من التوفيق، فأسعدنا الحظ وظفرنا بـالحديث في المـوضوعين. إذ سنحت هـذه الفرصة يوم الاحتفال بعيد جلوسه. فقص علينا جلالته كيف استرد الرياض بنحو أربعين رجلاً منهم ستة يقتحم بهم الأسوار تحت ظلام الليل، وكيف ودعه والده وهو يقول له إنه «مهبل» أو مجنون!.

قال زميلنا الأستاذ كريم ثابت: وماذا كان رأي والدكم يا صاحب الجلالة بعد فتح الرياض؟.

فابتسم جلالته وقد بدا على وجهه التأثر والحنان:

«رحمة الله على والدي فقد كان يعاملني كأنني أنا الوالد وهو الولد. وما رأيت قط معاملة كهذه بين الآباء والأبناء أو بين الأخوة والأقربين.

وعلى قدر توقيره وحنانه لذكرى والده رحمه الله رأينا آيات العطف والمحبة على ملامح وجهه كلما نظر إلى أصحاب السمو أبنائه النجباء، وهو يسميهم «ربعه» ويحب أن يراهم أمامه على مائدة الطعام.

فهو ابن بار كريم، وأب عطوف كريم.

أما الجامعة العربية فقد أفاض جلالته في الحديث عنها وقدرها تقديرها المحكم حين قال:

- إنها منار لنا لأنها تصدر في أعمالها عن بحوث مشتركة بين ذوي الرأي والبصيرة يرون في جملتهم ما لا يراه أهل كل بلد على انفراد، وإنها دريئة للدول العربية لأن حجة الدولة التي تحتج بقرار الجامعة قائمة، وعذرها فيما ترضاه أو تأباه مقبول.

ومن الأحاديث التي يطرحها جلالته حديث الصيد والقنص في الصحراء لأنه رياضته المفضلة كلما اتسع لها وقته.

وقد حدثنا جلالته حديثاً شائقاً عن صيد الغزال في «القيظ» وصيد الحباري في أواخر الشتاء، وخيل إلينا من حماسته أنه يتكلم وهو في الطراد.

ومن تواضع جلالته وإنصافه أنه يعطي كل ذي حق حقه من الخصوم والأصدقاء. ذكر خصمه ابن الرشيد: بانه كان شجاعاً مقداماً ولكن «ما عنده رأي» ويعيبه البخل.

وعرضت مسألة فقهية فقال في تواضع جم: إن الغزوات والحروب لم تدع لي وقتاً للتبحر في العلوم. ولكن الذي تبحر فيها هو هذا... فهو أعلم الإخوان. وأشار إلى أخيه صاحب السمو الأمير عبد الله.

والواقع أن الألمعية تبدو على وجه الأمير من النظرة الأولى، ويبدو نصيبه الوافر من الدراسات الإسلامية من مبادرته بالفتوى المسندة عن كل مسألة يستطرد إليها الحديث، وقد حضرت له مناقشة مع الرحالة البحاثة فلبي Philby عن قيمة الحفريات والأحجار المكتوبة في الدلالة التاريخية كان فيها مدافعاً محسن الدفاع وإن خالفناه في بعض ما رآه.

والشيء المستغرب حقاً هو مبلغ اطلاع الأمراء على أحوال مصر وأخبار عظمائها وعلمائها وذوي النباهة والشأن من أهلها، ولو كان هذا الاطلاع مقصوراً على كبارهم الذين بلغوا العشرين مثلاً أو جاوزوها لقلت الغرابة، ولكنه يعم الكبار والصغار وترى دلائله فيمن لم يجاوز منهم الخامسة عشرة أو جاوزها بقليل، ولو سردنا طرائفهم في ذلك لضاقت بها الفصول بعد الفصول.

حمام الحرم ... (*)

مجلة الرسالة العدد ٦٥٩
١٦ ربيع الأول ١٣٦٥ هـ
١٨ فبراير ١٩٤٦ م

(*) يبدو أن حمام الحرم كان موضع مناقشة بين العقاد والعاهل الراحل خلال الرحلة من جدة إلى السويس كما يتضح من نهاية المقال.

أشرت في مقالي السابق عن الرحلة الحجازية إلى
حمام الحرم فقلت: من أعجب ما سمعته ورأيته من
شأنه. . أنه يطوف حول الكعبة ولا يعلو عليها فرادى ولا
جماعات.

وهذه خاصة لا بد لها من سبب مفهوم، ولا بد
من استقصائها في جميع أحوالها قبل التيقن منها وقبل
تعليلها بالخوارق التي لا تقبل التعليل، فإن الذهن لا
يقبل الخارقة إلا إذا ضاقت به علل الطبائع التي أودعها
الله في خلقه وتواترت بها المشاهدة في جميع الأحوال،
وبخاصة حين لا يكون هناك مقتضٍ من حكم الدين ولا
حكم العادة لامتناع الطيران في فضاء الكعبة أو أي فضاء
مقدس مصون، ولا معابة على فضاء السماء في كل

مكان أن تحلق فيه الطيور أو تعبر به الطائرات.

وقد شغلني أن أتيقن أولاً من تطابق الأقوال على اطراد هذه الظاهرة، وأن أجرب حماماً غير حمام الحرم لأرى كيف يطير إذا أطلق في جوانب الكعبة وحده، وأن أجرب طيراً غير الحمام من القمارى أو العصافير أو فصائل اليمام، لأن الجوارح قد يصرفها النظر إلى فرائسها عن تحقيق التجربة بما يفيد الحرية في اختيار جو الطيران، وخطر لي قول الطائي:

يسقط الطير حيث يلتقط الحب
وتغشى منازل الكرماء

ولكن الطير يسقط حيث يلتقط الحب ولا يقصر طيرانه على مواضع التقاطه، فإذا كان حمام البيت قد تعود أن يلتقط غذاءه في المماشي التي حول الكعبة فليس ثمة ما يمنعه إذا صعد في الجو أن يتجاوز تلك المماشي إلى ما جاورها، وهو قريب من قريب.

وأوصيت بعض رفاقنا أن يراقبوا هذه الظاهرة في زياراتهم المتعددة وهم يزورون البيت متفرقين حسب النوبة التي يفرغون فيها من العمل في اليخت أو

الطوافتين[1]، فلما عادوا جميعاً كفيت مؤنة التجربة أو التجارب الكثيرة التي كان لا بد لنا منها قبل التيقن من تلك الظاهرة وتعليلها بما يكشفها على جليتها، لأن ثلاثة منهم اتفقوا على أنهم شاهدوا الحمام يطير أحياناً فوق الكعبة، وإن لم يكن ذلك مطرداً في جميع الأوقات.

وممن شاهدوا ذلك إمام اليخت الملكي «المحروسة» وهو شاب مهذب أديب حسن المعرفة بالدين حسن التفسير لأحكامه وفروضه، فإنه قال: إن الحمام يطير فوق الكعبة ولكنهم يلحظون فيما يطير منه عليها شيئاً من الضعف والانكسار، كأنه مريض يلتمس الشفاء ببركة العبور على ذلك المقام، وهذا وحده يبطل ما ذهبوا إليه من تلك الملاحظة، لأن طالب البركة لا يلتمسها بما يخالف حرمة المكان فيما جرى عليه عرفه أو عرف بداهته الفطرية، فإن كان طير البيت يتجنب الطيران فوق الكعبة تقديساً لها كما يتخيلون، فليس من شأنه أن يلتمس البركة بمخالفة التقديس.

---

(١) كانت ترافق يخت «المحروسة» في رحلتها لميناء جدة ليستقلها الضيف الكبير طوافتان مصريتان.

وقد أصبحت الظاهرة معقولة بعدما سمعته من تلك المشاهدات بغير خارقة أو التجاء إلى إغراب.

حتى ندرة الطيران فوق الكعبة لا تستعصي على التفسير الموافق للعادات والمشاهدات، فإن الحمام الأليف يجتمع إلى أسرابه في ملاقط الحب، ولكنه لا يطير أسراباً كالفصائل البرية من نوعه حين تهاجر من مكان إلى مكان، فإذا جاوز الحمام الأليف مساقط أسرابه فإنما يطير زوجين زوجين أو فرداً فرداً في التماس أليفه الذي يغيب عن نظره وسط الأسراب، وهذه العادة خليقة بأن تفسر لنا ندرة الطيران على بعد من المماشي التي يتجمع فيها الحمام، كما تفسر لنا بطء حركة الطائر الذي يخرج عن الطريق في بحثه واستطلاعه، لأنه لا ينوي الطيران إلى بعيد حيث يعبر فضاء الكعبة لينظر حولها إلى أليفه المفقود.

على أن جمال المعنى الذي يتمثل في حمام الحرم لا ينقص ذرة بطيرانه هنا أو طيرانه هناك، لأن معناه الجميل هو الأمن في حماية الإيمان لا في حماية الحراس أو حماية الأبراج والسدود، فهذا أضعف الطير يراه الجائع والطامع ولا يمسه بسوء، وهو يطمئن إلى هذا الأمن

بطبعه وإن لم يفهمه بعقل فيه يفهم أمثال هذه الأمور، فلا يجفل من الإنسان ولا تراه يطير منه إلا طيران الدلال واللعب لا طيران الفزع والاضطراب.

ولسنا نختم هذا المقال قبل أن نستوفي سيرة الحمام كما عرضت خلال الزيارة الحجازية إما بمكة أو خلال الطريق.

فقد كان الحمام ذات عشاء من بعض صحاف المائدة على اليخت «المحروسة» أثناء عودته الأولى من جدة إلى السويس، فعلمنا أن جلالة الملك عبد العزيز لا يأكل منه، ولا من السمك على اختلافه إلا في النادر القليل.

وأراد صاحب السعادة مراد محسن «باشا» أن يوفق بين رغبة الملك عنه ورأي بعض الفقهاء في تحريمه، فقال: إن أناساً من المتشددين يحرمون أكل الحمام الذي يربى في بروج الحقول والغيطان.

فصمت جلالة الملك وتردد ثم سأله:

ـ ولم يحرمونه؟.

قال مراد «باشا»: لأنهم يتركونه يأكل من مال غيرهم

ولا يطعمونه من عندهم، فحرمه أولئك الفقهاء كما يحرمون مال «الغير» المأخوذ بغير علم أصحابه.

ولكن جلالة الملك ظل على تردده والتفت إلى أخيه صاحب السمو عبد الله بن عبد الرحمن كمن يستفسر رأيه في التحريم.

فقال سمو الأمير: لا حرج من أكله وما أرى وجهاً لتحريمه ولا قولاً يعتد به في ذلك، وإنما حكمه حكم العصافير التي تأوي إلى أشجار الناس وتأكل من حيث أصابت الطعام.

وأطرف من هذا أن رئيساً من رؤساء الحكومة السعودية سأل الباشا: أهم يحرمون من الحمام Pigeon أو الـ Dove Tutrle؟ لأن الأول يأوي إلى البيوت والثاني قلما يأوي إليها وإن عرفت الأمم القديمة استئناسه في بعض البلدان.

فكان هذا السؤال مما لم يخطر على البال، قبل الاستدلال على الحرام والحلال.

*   *   *

السادة
الأمراء السعوديون

مجلة روز اليوسف:
١٣ صفر ١٣٦٥ هـ
١٧ يناير ١٩٤٦ م

الجوانب التي يتناولها الكلام عن عاهل الجزيرة العربية أو المملكة السعودية كثيرة متعددة يجول بينها الكاتب في عالم واسع من المشاهدات والأخبار ومن الذكريات التاريخية والشعائر الدينية، ولكننا نعتقد الكلام عن عاهل الجزيرة نفسه لا يتم ولا يصور للناس صورته الحقيقية ما لم يتناول جانب «الأبوة» منه وهو الجانب الإنساني الحي الذي يتراءى من النظرة الأولى لمن يحضر مجلس العاهل العظيم، ويرى على ملامحه الواضحة أمارات الرضى والغبطة وهو يكلم واحداً منهم أو يراهم حافين به متطلعين إليه، يحبونه حب الأب الودود، ويهابونه مهابة السيد المطاع، وجملة ما يقال في النظرة التي ينظر بها جلالته إلى أبنائه إنه يحتضنهم بعينيه ويشعر بالارتياح الشامل وهم على مشهد منه.

ومكان أصحاب السمو الأمراء في قاعة الاستقبال

الكبرى بالقصر الملكي في مكة المكرمة هو أقصى مكان، لأن مقامهم كما قال لهم جلالته محفوظ ملحوظ، والضيوف في المجلس أولى بالتوسعة والترحيب، ولكنهم يجلسون أمامه صفاً واحداً على مائدة الطعام، ويقفون على يسار جلالته إذا وقف في عرض أو احتفال.

عرَّفنا جلالته إلى سموهم في القصر الملكي، فلم يتردد همسة واحدة في ذكرهم بأسمائهم على التوالي مع سرعة التعريف وسرد الأسماء.

ولجلالته ذوق خاص في اختيار الأسماء لأبنائه فيه تجديد أسماء آبائه وأجداده في الأسرة السعودية، أو التفاؤل للسلم والحرب أو الانتماء إلى الله[١].

كان من حظنا في اليخت أن نجاور بعض أصحاب السمو الأمراء الشبان فتفضلوا بدعوتنا إلى الجلوس معهم، وشعروا أنني في حاجة إلى تعريف جديد فكنت أعقب على كل اسم سمعته بتفسير لمعناه يتضمن التحية والثناء.

---

(١) خصصنا فصلاً بالكتاب لأسماء السادة الأمراء أبناء جلالة الملك عبد العزيز على ترتيب أعمارهم في نهاية هذه الدراسة.

قالـوا: عبد المحسن، قلت: عبد الله جل جلاله والمحسن هو الله.

وقالوا: متعب. فقلت: متعب لأعدائه.

وقالوا: مساعد. فقلت: لأصدقائه.

وقالوا: مشعل فنطقتها بفتح العين وقلت: منار ينير الأبصار فاستدرك أخوه الذكي الأمير نواف قائلاً: ما هو مِشعَل بل هو مُشعِـل «بضم الميم» ليشعل نار الحرب على الأعداء.

قلت: هو كذلك.

ثم عادوا إلى التعريف.

فقالوا: طلال. قلت: ظلال تظل الآمنين.

فقالوا: نـواف وهو أصغر الأمراء الحاضرين سناً، فقلت: ينيف على الأنداد والأقران.

وسموه سريع الخاطر فطن عظيم الثقة بنفسه فقال في شيء من السرعة: والعقاد؟ أيش معنى العقاد؟.

قلت: معناها القديم أنه الذي يعقد الحرير.

فقال الأمير عبد المحسن فيما أذكر: ولكنه يعقد الفصول الآن.

ومما أعتبره تحية لمصر أن أصحاب السمو الأمراء على صغر سنهم ـ وبعضهم لم يبلغ الرابعة عشرة ـ يعلمون الشيء الكثير عن مصر وعلمائها وعظمائها، ويتتبعون أخبارها في الصحف والمذياع ويصححون ما يخطىء فيه بعض الحاشية من الأخبار والأعلام.

ومما اغتبطت به كثيراً أن صاحب السمو الأمير متعب ـ وهو لم يبلغ السادسة عشرة بعد ـ تفضل فأهدى إليّ نسخة قديمة من جريدة «الحرم» لصاحبها الشاعر الفاضل الأستاذ فؤاد شاكر صدرت قبل مولد سموه بسنة وفيها قصيدة لي وصورة من صوري أيام الشباب كدت أنساها.

وسألني: هل تسرك هذه المفاجأة؟.

قلت: كل السرور.

فكتب على الصفحة التي فيها القصيدة: «أقدم للأستاذ الكبير الكاتب الجبار عباس محمود العقاد قصيدته هذه للذكرى» ووقع عليها بهذا التوقيع: «متعب بن عبد العزيز».

وسأحتفظ بهذه التحية بين أنفس الذخائر والذكريات.

وقد تناول أخوه الأمير مساعد نسخة الصحيفة وقرأ منها القصيدة قراءة صحيحة واضحة معقباً عليها بعد الانتهاء من قراءتها بهذه الكلمة الكريمة: «معان قوية».

وقد جرى جلالة الملك عبد العزيز على عادة ملكية رشيدة في تدريب الأمراء على مهام الدولة وأعمال الحكومة، فمن بلغ منهم سن العمل والاشتغال بالمسائل العامة وكل إليه عملاً يناسبه، وترقى به من مهمة إلى مهمة في مراتب الكفاءة والاختيار.

وعلى حب جلالته لأبنائه ذلك الحب الجم الذي يبدو على أسارير وجهه يأخذهم جلالته بالتربية العسكرية في المواقف الرسمية، ويطلب منهم أن يظلوا على استعداد لتلقي أوامره في كل لحظة وبغير تمهيد، فكان أصحاب السمو الأمراء جميعاً لا يعلمون من منهم يسافر مع جلالة والده ومن منهم يبقى في نجد أو الحجاز، وجعل بعضهم يسألون كبار رجال الحاشية ـ لتشوقهم إلى زيارة مصر ـ قائلين أنتم تعلمون، أنتم تعلمون، ولكنهم كانوا أيضاً لا يعلمون، وإنما علموا بأسماء الأمراء الذين يصحبون جلالة والدهم في اليوم الأخير.

وكان موقف التوديع على قصر الغيبة في الطريق وفي الديار المصرية موقفاً ينم على الحب المتبادل بين الأخوة والأبناء والأعمام. فكان المودعون يلثمون المسافرين وأعينهم مغرورقة بالدموع، ثم يقبل الأصغر يد الأكبر سواء كان من المسافرين أو المودعين.

وتصرفهم - وإن صغرت سنهم - تصرف الراشدين الذين يعرفون كرامة الإمارة ويعطونها حقها من السمت والشارة.

لما كان الأمير نواف في الولايات المتحدة، طلب أن يقابل الرئيس ترومان في القصر الأبيض، فتلقاه الرئيس في مقابلة خاصة بالترحيب والإكرام. قلت للأمير: ما رأيك في الرئيس ترومان!.

فأجاب جواباً يكبر سنه بكثير، وقال: أنا ما اجتمعت بالرئيس غير لحظات، فليس لي أن أقول فيه رأياً من الآراء.

وأخبرني من كان مع سمو الأمير في زياراته للمدارس والجامعات الأمريكية أن الطلبة كانوا يسألونه ويكثرون من الأسئلة فيجيبهم سموه فيما يرى الإجابة عليه، ولكنه في

زيارة من هذه الزيارات قال لهم: ألا أسألكم مرة كما تسألونني؟ قالوا: تفضل... فسألهم: ما هي حدود المملكة السعودية؟ فوجموا وخلطوا في الجواب. فعاد الأمير يقول:

ـ سؤال منتظر لا تعرفون جوابه، وقد أجبت على أسئلتكم فيما يخطر أو لا يخطر على البال!.

وهم ـ أي سمو الأمراء ـ من أكبر قراء الصحف المصرية بين يومية وأسبوعية وشهرية، ومنهم من يشترك في نيف وثلاثين صحيفة ويذكرون بمقالات فيها نشرت منذ شهور ويحق للصحافة المصرية أن تعتد بهذه النخبة من القراء الأدباء الأمراء.

أقر الله بهم عين والدهم العظيم، وكتب الخير على أيديهم لرعيته المخلصين.

المَلِكُ الرياضي

صحيفة الكتلة

١٣ يناير ١٩٤٦ م

ربما كان منظر السباق الذي شهده أمس صاحب الجلالة الملك عبد العزيز من أحب المناظر إلى جلالته وأسرها لقلبه، لأنه كما لا يخفى من أشهر فرسان الجزيرة العربية وأكثرهم ملازمة لمتون الخيل من باكر صباه.

ولكن الذي يقع عند كثير من القراء موقع الخبر الطريف أن جلالته يحب الرياضة البدنية ومنها على الخصوص رياضة الصيد والقنص ويتكلم عنها في حماسة واشتياق كلما عرضت مناسبة من مناسباتها.

حدثنا جلالته على يخت «المحروسة» عن صيد الغزلان وصيد الحباري[1]، فقال: إن الغزلان عندنا لا يستحب صيدها في غير موسم القيظ لأنها تحمل أجنتها في غير هذا الموسم ولا خير في اصطيادها ولكن الحباري على خلاف ذلك تصاد في أواخر الشتاء، وهي

(١) طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً وهي أنواع كثيرة.

في هذه الفترة من السنة تتجمع على الأرض بالمئات، ويتقابل ذكورها على إناثها فتزاحم في بقعة واحـدة، وتصيب الطلقة الواحدة منها عشرات وهي على هذه الحالة.

قال جلالته، ولكني لا أستحب صيدها إلا وهي في الهواء، لأن لذة الصيد في إصابة الهدف على هـذا المنوال.

ومن أحب الرياضـات إلى جلالته رقصة الحرب التي يرقصها الإخوان النجديون وهم مقبلون على الميدان، وهي رقصة مهيبة متزنة تثير العزائم وتحيـي في النفوس حرارة الإيمان، ويتفق أحياناً أن يستمـع جلالتـه إلى أناشيدها ويرى الفرسان، وهم يرقصونها، فتهزه الأريحية ويستعيد ذكرى الوقائع والغزوات فينهض من مجلسـه ويزحزح عقاله، ويتناول السيف وينزل إلى الحلبة مع الفرسان، فترتفع حماستهم حين ينظرون إلى جلالته في وسطهم طباقاً فوق طباق.

وبفضل هذه الرياضـات وأمثالها ـ مع انتظام المعيشة ـ يحتفظ جلالته بقوة البنية التي أنعم الله بها عليه، فهو لا يزال بها في حمية الشباب.

الشورى
في المملكة العربية السعودية

صحيفة الكتلة:

١٦ يناير ١٩٤٦

كان أمس موعد الزيارة التي شرف بها صاحب الجلالة الملك عبد العزيز دار البرلمان المصري في حفلة الشاي التي أقامها حضرات الشيوخ والنواب لجلالته بالبهو الفرعوني.

وهذه الزيارة كريمة توحي إلى أذهان القراء السؤال عما يقابل النظام البرلماني في المملكة السعودية، لأن القراء جميعاً يعلمون أن الشورى من فرائض الدين الإسلامي التي نص عليها القرآن المجيد غير مرة، وأن آل السعود يعملون في حكومتهم بأحكام الكتاب وسنة الرسول وما تواضع عليه السلف الصالح في أمور الدين والدنيا.

والواقع أن الشورى في تدبير أمر الدولة نظام معمول به في الحكومة السعودية منذ قيامها، وأنها تقررت في

الحجاز منذ نيف وعشرين سنة فعقد جلالته في مكة المكرمة اجتماعاً عاماً من العلماء والأعيان والتجار وخطب فيه قائلاً:

«إنني أريد من الهيئة التي ستجتمع لانتخاب الأشخاص المطلوبين أن يتحروا المصلحة العامة ويقدموها على كل شيء فينتخبوا أهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة ويكونون من أهل الغيرة والحمية والتقوى».

ثم قال جلالته: «تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة، ولكن كثيراً من تلك المجالس تكون توهماً أكثر من الحقيقة، وتشكل ليقال إن هناك مجالس وهيئآت ثم يكون العمل بيد شخص واحد وينسب العمل للمجموع، أما أنا فلا أريد من هذا المجلس الذي أدعوكم لانتخابه أشكالاً وهمية، وإنما أريد مجلساً حقيقياً يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة.. أريد حقائق. أريد رجالاً يعملون، فإذا اجتمع أولئك المنتخبون وأشكل علي أمر

من الأمور رجعت إليهم في حله، وعملت بمشورتهم وتكون ذمتي بريئة من المسؤولية».

ومنذ ذلك الحين يجتمع مجلس الشورى ويعرض عليه الشؤون الخاصة بالبلدية والمحاكم الشرعية والأوقاف وتعميم التعليم وحفظ الأمن وترقية التجارة وحل المشكلات الداخلية التي ترجع إلى العرف ولا تخالف أصلاً من أصول الشريعة.

وجلالة الملك عبد العزيز هو الذي يعين عدد الأعضاء الذين يتألف منهم مجلس الشورى، وهو الذي يدعوه أو يأمر بحله إذا شاء.

أما الشروط المطلوبة في العضو، فهي أن يكون حسن السمعة وأن يكون من ذوي المعرفة والخبرة وألا تقل سنه عن خمس وعشرين سنة.

وللمجلس أن يخالف الحكومة في قراراتها فتعاد إليه القرارات في هذه الحالة مشفوعة بالملاحظات التي تراها الحكومة كافية لإقناعه.

فإذا أصر المجلس على رأيه وأصرت الحكومة على رأيها، فالمرجع إذن إلى جلالة الملك يفصل بما يراه،

ومن حق المجلس أن يكلف رئيسه بمراجعة جلالة الملك في شأن القرارات التي ترفع إلى جلالته ويمضي عليها شهران دون أن تبت فيها الإدارة الملكية بالتصديق.

ويحيط بجلالة الملك عبد العزيز نخبة من المستشارين الذين يختارهم جلالته من الشيوخ المحنكين والشبان المطلعين، وبعضهم من نجد والحجاز وسائر أنحاء الجزيرة العربية، وبعضهم الآخر من سورية أو فلسطين أو طرابلس أو مصر أو البلاد الإسلامية، فهم بمثابة جامعة عربية صغيرة يمثلون عند جلالته بمختلف المقاصد والآراء.

وجلالته عظيم العناية باستطلاع رأي شعبه والرجوع إليه في المشكلات التي تتفرق فيها المنازع ويتشعب فيها مجال القيل والقال.

وهذه سنة قديمة في الحكومة السعودية جرى عليها جلالته في معاملة الإخوان النجديين، وفي معاملة غيرهم من الشعوب.

فلما اضطرب الأمر بين نجد والعراق، واندفع بعض

المتشددين في طلب الجهاد على غير علم بأصوله الدينية وعواقبه السياسية أرسل جلالته في طلب الرؤساء والعلماء وذوي الرأي وأصحاب النزعات المتباينة ليوافوه عند قصره بالرياض ويفضوا إليه بشكاياتهم ومطالبهم ويصارحوه القول فيما يأخذونه على حكومته وما يشيرون به عليه، وبلغ من صراحته أنه وقف أمامهم وهو يقول لهم: «فكروا أيها الإخوان في الرجل الذي تجدونه أهلاً لقيادتكم، فإن لم تجدوني أهلاً لحكمكم فاختاروا لكم رجلاً آخر على أن يكون من أفراد أسرتي التي قامت بالأمر فيكم، ولكم عليّ أن أبايعه قبلكم وأعاونه بكل ما أستطيع..

فارتفعت الأصوات من كل جانب كأنما تصدر عن وحي واحد: كلا... كلا... أما هذا فلا، وإنما نريدك أنت يا عبد العزيز ولا نريد غيرك.

فقال جلالته عندئذ: أما إن كان هذا رأيكم فتحدثوا إليّ إذن فيما تتحدثون به بينكم، وابسطوا إليّ بشكواكم وأنا كفيل لكم بأن أعمل بها أو أقنعكم وأرضيكم.

وعلى هذا النحو يسير جلالته في استطلاع الآراء وتوثيق عرى التفاهم بينه وبين رعاياه، وكثيراً ما يشرك في

الأمر طوائف الحجاج المقبلين من مشارق الأرض ومغاربها كلما طرأ بينه وبين بعض الحكومات الإسلامية بحث أو خلاف، فيخطبهم ويفضي إليهم بدعواه، ودعوى مخالفيه، لأنه ينظر إلى هؤلاء الحجاج من جميع أقطار الأرض وكأنهم «مؤتمر إسلامي» يحق له أن يطلع على حقائق الأحوال بين حكومات المسلمين ويطلعوا عليها إخوانهم حين يرجعون إليهم.

وجلالته يضطلع بالتبعات العظمى وحده بعد المشاورة والمداولة والاستطلاع.

ولكنه يتكلم عن المسائل الكبرى بسليقة ديمقراطية يستمدها من أصول الدين ومن البصيرة النيرة التي تهديه في مضلات الأمور.

فلما تحدث إلينا جلالته عن الجامعة العربية قال: إن مصير هذه الجامعة موكول إلى إرادة العرب أجمعين، وإنها تستقر وتدوم على قدر استقرار الإيمان بها في خواطر الأمم التي تتألف منها، فإذا علمت هذه الأمم أنها نافعة لها صالحة لهدايتها، فهي مستمرة، وهي بفضل هذا الإيمان تقاوم ما يعترضها من التنافس هنا والتنازع

هناك. وضمان الشعوب للجامعة العربية خير لها من ضماننا نحن الحكام والرؤساء.

وهي سليقة ديمقراطية دستورية توائم ما فطر عليه جلالته من حب التشاور وصدق الرغبة في التفاهم، وما أصغينا إلى جلالته مرة إلا أحسسنا باهتمامه الدائم بالإيضاح والإقناع.

* * *

«واصل العقاد الكتابة عن نظام الحكم السعودي القائم على الديمقراطية المنبثقة من الدين الحنيف وتعاليمه الكريمة فنراه يكتب على إثر ذلك المقال وعلى صفحات الصحيفة نفسها ـ ونعني بها صحيفة الكتلة ـ مقالاً آخراً عن طريقة العاهل الراحل في إقناع رعاياه. وهو المقال التالي»[1].

(١) ما بين القوسين من عندنا.

الملك عبد العزيز يقنع رعاياه

صحيفة الكتلة

١٧ يناير ١٩٤٦ م

أشرنا أمس إلى نظام الشورى الذي يعمل به في المملكة السعودية وقلنا إن جلالته يصدر في ذلك عن سليقة ديمقراطية دستورية توائم ما فطر عليه من حب التفاهم وختمنا المقال قائلين: (وما أصغينا إلى جلالته مرة إلا أحسسنا باهتمامه الدائم بالإيضاح والإقناع).

والواقع أن جلالته يحتاج إلى استخدام وسائل الإقناع كثيراً في مخاطبة شعبه على تفاوت طبقاته لأنه يريد الانتفاع بالعلوم الحديثة فيما يوافق البيئة الشرقية ويريد في الوقت نفسه أن يرضى رعاياه عن خطط الإصلاح التي ينتهجها في بلاده ليتقبلها أهل البلاد متفهمين مؤيدين ولا يذعنوا لها مرغمين أو كارهين، وقد أتاه الله ملكة نادرة تعينه على إقناع المعارضين على اختلاف حظوظهم من المعرفة والذكاء، فإن أجدى الدليل

والبرهان في إفهامهم وتجلية الحقائق لأذهانهم فذاك ما يتبعه جلالته ويسعى إليه، وإن أصر المعارضون على العناد فهناك يجدي الحزم جدواه، ويفعل البأس ما لا يفعله البرهان.

وقد عرف الكثيرون أن بعض المتشددين أنكروا التليفون والبرق واللاسلكي كما أنكروا السيارات وما شاكلها من وسائل المواصلات (فقال جلالته لهؤلاء المتشددين: أيها الأخوان، إن أهل العلم في مكان الرعاية منا، وهم على رؤوسنا، ولكن حذار أن يهزونا بالغضب فيسقطوا من مكانهم هذا إلى الأرض، ومن سقط إلى الأرض فلن يعود إلى مكانه فوق الرؤوس.

والتفت جلالته إلى مقاعد العلماء في مؤتمر الرياض الذي أشرنا إليه في مقال أمس قائلاً:

ـ وهل تجدون في كلام النبي عليه السلام ما يمنعنا أن ننتفع بالمخترعات الحديثة في تيسير المواصلات والسير على سنن التقدم والحضارة؟.

فأجاب جلهم من أهل الرأي: كلا. ولا حرج في ذلك.

على أن جلالته قد أقنع المعارضين بما يبطل مخاوفهم ويزيل الشكوك من أذهانهم وعلم أن بعضهم كانوا يذهبون إلى محطة اللاسلكي ليسألوا الموظفين هناك عن المكان الذي يمسكون فيه الشياطين ويقدمون إليها القرابين لتحمل لهم الأخبار إلى الأماكن القصية، فقطع جلالته الشك ببرهانه المشهور وأسمعهم القرآن الكريم من المذياع والتليفون ليوقنوا أن الذي ينقل القرآن الكريم لا يكون من عمل الشيطان.

وقد سمعنا وقرأنا قبل سفرنا إلى الحجاز كثيراً من الأمثلة الألمعية لبعض الأقضية السعودية التي يتوخى جلالته فيها العدل والإقناع مع العلماء والجهلاء على حد سواء، وانتوينا أن نسأل عن تفصيل هذه الأقضية كلما سنحت لنا فرصة السؤال تمحيصاً للرواية فيما تختلف فيه الروايات.

من ذلك أن امرأة ساذجة أخذت بتلابيب رجل من البادية إلى مجلس صاحب الجلالة الملك وهو يستمع للشكايات، وطلبت أن يحكم لها بقتل الرجل لأنه قتل زوجها ويتم أطفالها فسألها جلالته عن القصة فقالت:

ـ إن زوجي كان ينام تحت نخلة في العراء، وكان هذا الرجل يجني الثمر منها فسقط عليه وهو نائم فقتله.

قال الملك:

ـ ولكنه لم يقصد قتله.

قالت الزوجة:

ـ لا أبالي قصد أم لم يقصد فإن الذي أعلمه ويعلمه الناس أنني كنت زوجة يعولني عائل فأصبحت أيماً لا عائل لي بفعل هذا الرجل القاتل فلا مناص من القصاص.

وهنا فتقت الحيلة لجلالته فتوى تقنع المرأة وتحفظ حدود العدل فلا تجور بالقصاص على غريمها المسكين فقال لها جلالته:

ـ حسن ما تطلبين..

وإنما يعامل القاتل بمثل عمله، فاصعدي أنت صاحبة الحق في الدم على تلك النخلة التي سقط منها واسقطي عليه كما سقط على زوجك واقتليه.

سألنا جلالته عن هذه القضية فقال مبتسماً:

ـ والله ما أذكر. . . إن الأقضية كثيرة ولعلها مضت بي في بعض ما مضى.

وإنما سنحت الفرصة لسؤال جلالته في هذه القضية بعينها لأن جلالته كان يتحدث عن الأم والمرأة التي نازعتها في ابنها (وقبلت المرأة التي تنازعها في ابنها) فيقضي الحكم بينهما بشق الوليد نصفين، فسلمت الأم في ابنها وقبلت المرأة التي تنازعها هذا القضاء.

قال بعض الجالسين: هذا قضاء سليمان عليه السلام كما ذكرت كتب السنة فكثيراً ما كان يهتدي إلى حكم مغاير لحكم أبيه داود، ويرضى أبوه والناس بذلك الحكم وقد أشار الله تعالى إلى بعض أقضيته تلك في قوله تعالى:

﴿ وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكـلاًّ آتينا حكمـاً وعلماً ﴾. [سـورة الأنبيـاء: الآيـة ٧٨ ـ ٧٩].

ومن الأقضية التي اشتهرت عن جلالته في الحجاز أن رجلاً من المغرب طرأ على مكة المكرمة فادعى أنه من

سلالة البيت الشيبي الذين يتقلدون مفاتيح الكعبة المعظمة ويتوارثونها جيلاً بعد جيل، ثم لج الرجل الأفاك في دعواه وأثار الثائرة في كل مكان على أبناء ذلك البيت يلاحقهم في الكعبة وفي منازلهم وفي المجالس والأسواق ليكرههم على موافقته أو إرضائه، واشتغل الناس بهذه القضية بين منكرين للدعوى ينكرونها لأنهم يعرفون النسب الصحيح ولا يرون دليلاً قاطعاً على صدقها، وبين مشجعين للرجل من قبيل النكاية والشحناء.

فلما رفع الأمر إلى الملك عبد العزيز دعا بذلك الرجل الأفاك في مجلس حافل وسأله:

ـ أطالب دين أنت أم طالب دنيا بما تدعيه؟.

قال الرجل: بل طالب دين!.

قال الملك: إن كنت إنما تطلب الدين ولا تطلب غيره، فاذهب فأنت من بيت الشيبي وهذه الكعبة أمامك تتعبد فيها كما تشاء، وإن كنت إنما تطلب الدنيا فوالله ما أخطأ القوم إذ ينازعونك وينكرونك وأنت تنازعهم بغير برهان، ولا سبيل إلى القضاء لك عليهم بغير البرهان الصحيح.

وكثيراً ما ترفع المشكلات إلى جلالته فيقضي فيها بما يقنع الخصمين على هذا المثال، وكثيراً ما يقضي في المعضلات السياسية بما يشبه هذا القضاء فينفض الإشكال، وقد يحتكم إلى جلالته رجلان من رجاله المقربين في معرض السمر والتبسط على الحديث، فلا يحيد عن هذه السنة في قضائه العادل على البديهة:

- إننا راضيان بحكمك يا طويل العمر...

قال لجلالته رجلان من أقدر رجاله في محادثة من هذا القبيل جرت أمامنا فقال جلالته إلى كل منهما: هذا أقوى.. وهذا أظلم!.

قلنا لأحد الرجلين الكبيرين متجاهلين: من أراد جلالته بالأقوى ومن أراد بالأظلم فيما بينكما؟ قال: والله لقد صدق جلالته فيما حكم به، وإن صاحبي لأشطر مني، ثم ضحك وهو يقول: ولكنني أنا أقوى...

وعلى هذه السنة الماضية يعمد جلالته إلى الحزم فيما يدعو إلى الحزم، ويتوخى الإقناع فيما يجدي فيه الإقناع.

في جو العروبة ...

مجلة الكتاب السنة الأولى الجزء الرابع
صفر ١٣٦٥ هـ
فبراير ١٩٤٦ م

تحدثنا الفكاهة المصرية عن حاكم جاهل من حكام القرون الوسطى سمع مصرياً يقول: النبي عربي! وكان هو تركياً فأخذته العصبية وصاح فيه:

- نبي عربي ولكن ربنا تركي!...

ذكرت هذه الفكاهة المصرية في ليلتنا الأولى ببخت المحروسة على متن البحر الأحمر، وكنا نتهيبه لأننا لا نطيق دوار البحر، وإن كنا قليلاً ما نشعر بالدوار في الهواء، ولكن الله بارك في الرحلة من بدايتها إلى نهايتها، فركبنا البحر شتاء كأننا نركب النيل في أيام الصفو والهدوء، وكانت السماء في الليلة الأولى على الخصوص صافية مصحية لا تحجب عنا ذخيرة واحدة من ذخائرها الكثيرة، ولم تكن الليلة من الليالي القمراء، فعرضت علينا السماء كل ما وسعت من جواريها وثوابتها

على السواء، ولم تدع عندها من نجم بعيد أو قريب تستره في الخفاء، وصعدنا إلى سطح اليخت الأعلى عند مرقب الريان لنتملى بأعيننا ونفوسنا هذا المنظر الجميل، كأننا نرتفع من الماء إلى الآفاق العلوية، ونعجب لقول القائل: أين الماء من السماء؟ لأن الإنسان في الماء أقرب ما يكون إلى السموات والأفلاك، فهي الدليل الذي يستقبله هناك حيث يسير.

وكان اليخت في قيادة البحري الكبير صاحب السعادة أمير البحر «سالم البدن» وهو من أبناء البحر المعرقين، إذا صح هذا التعبير لأنه ينتمي إلى أسرة تقدمه فيها الآباء والأجداد إلى قيادة السفن الكبيرة منذ مئات السنين، وقد تعلم فنون صناعته الدقيقة، ومنها الفلك والظواهر الجوية وأحياء البحار المختلفة، فرأيناه ـ كما قلنا له ـ يعلم من طرق السماء وطرق البحار فوق ما يعلم من طرق القاهرة والإسكندرية.

وقد كانت الفرصة في تلك الليلة سانحة لنستمع إليه وهو يشرح لنا مواقع النجوم الثوابت ومواقع الكواكب السيارة التي تظهر على الأفق في ذلك المساء، وشفع ذلك ببيان الأساليب العلمية التي ينتفع بها لتحقيق مكان

السفينة من رؤية تلك النجوم والسيارات أو من المقابلة بين زواياها ومواقعها من السمت والأفق في ساعات الليل.

هذه الجوزاء، وهذا النطاق، وهذه المنطقة، وهذا النظام، وكلها على ما نذكر تعرف في اللغات الأوروبية بألفاظها العربية فيقولون: *Almilam* و Mintaka و Al nitak ويسمون عاتق الثريا Otik ويسمون السرة من مجموعة السلسلة Sirrah وغير ذلك كثيرة يطول بنا إحصاؤه في هذا المقام.

خطرت لي تلك الفكاهة التي أشرنا إليها في مطلع هذا المقال وأنا أنظر إلى النجوم والكواكب التي يعرفها الشرقيون والغربيون بأسمائها في لغة الضاد. فقلت: إن السماء عربية أيها الإخوان! ولو جرينا على طريقة بعض الأثريين ووجدنا مدنية محفوظة المعالم بأمثال تلك الأسماء لما ترددنا في نسبتها على وجه من الوجوه إلى قوم من أبناء العرب وقحطان.

السماء عربية...

والبحر الذي نحن عليه ماذا يكون؟.

إن جو العروبة قد غمرنا منذ خطوات الرحلة الأولى

فتعـودنا أن نلتمس العـلاقة بينـه وبين كل مـا رأيناه وسمعناه، وقد عرفنا مكان السماء من العروبة، فبقي أن نعرف منها مكان الماء، ولم نقل كما قال الأسبقون: وأين الماء من السماء؟.

وجزى الله أصحابنا اللغويين من أصحاب التمحل والتأويل... لأنهم لا يضيقون بنسبة شيء إلى العربية ولو كان بينه وبينها ما بين الماء والسماء...!.

فلا تنس أن البحر الأحمر يدعى ببحر القلزم، وإن القلزمة على قول أصحابنا اللغويين المتأولين مقلوبة من الزلقمة وهي الابتلاع من الزلقوم أو الحلقوم... قالوا: ولعله سمي بذلك لأنه ابتلع فرعون وجنوده وهم يطاردون موسى الكليم.

ولكن أصحابنا اللغويين هؤلاء ينسـون مدينة «كليزما» التي كانت على مقربة من السويس قبل أن ينحسر البحر عن موقع السويس الجديد، وينسون أن البحر قد استمد اسمه من هذه المدينة فسمي ببحر كليزما وصحف إلى بحر «القلزم» على الألسنة العربية، ثم استعير هذا الاسم للبئر الغزيرة، فعرفت في العربية باسم القليذم والقليدم وقال شاعرهم في بعض هذه الآثار:

إن لـــنـــا قـــلـيــذمـــاً قـــذوحـــا

يـــزيـــده مخـــج الـــدلا جمـــوحـــا

فحسب أصحابنا اللغويين إذن من العلاقة بين هذا البحر وبين العروبة أنه البحر الذي أحيطت شواطئه جميعاً بمعاشر الناطقين بالضاد، وأنهم قلدوه بعد ذلك اسماً عربياً موصوفاً بالحمرة فقالوا: إنه «البحر الأحمر» لما يبدو عليه من احمرار اللون من أثر الشعاب الحمراء التي فيه والجبال الحمراء التي عليه، ولا سيما عند مدخله في خليجي العقبة والسويس.

ولقد كان جو العربية يغمر الرفقة جميعاً في الإياب كما غمرهم في الذهاب، فلم نجتمع قط في مجلس على متن اليخت إلا عرضت فيه مسألة من مسائل العربية أو مسألة من مسائل العروبة منذ نشأتها الأولى واتفق أن سأل: لم سمي العرب عرباً على ألسنتهم وألسنة غيرهم؟.

واتفق أنني سئلت هذا السؤال ونقلت محطة الإذاعة في الشرق الأدنى جوابي عليه قبل سفري إلى الحجاز وخلاصته أن كلمة «العرب» مأخوذة من كلمة الغرب بحرف الغين وهو حرف ضعيف في اللغات السامية غير

العربية، فكان سكان ما بين النهرين ينظرون إلى الشرق ويسمون اليمن يمناً لأنها على يمينهم، والشام شمالاً لأنها على شمالهم، والصحراء الغربية غرباً لأنها في الجهة الغربية من بلادهم، وتمت بذلك مواقع الجهات الأربع في نظر الساميين المقيمين بين النهرين.

فلما سئل هذا السؤال أصغيت إلى رأي الرحالة البحاثة الأستاذ (ڤلبي) فسرني أنه يطابق كل المطابقة ما اعتمدته بين مختلف الآراء، وزاد عليه الأستاذ (ڤلبي) أنه يرد كلمة أوربة إلى هذا المصدر لأنها غربية، وهو رأي له قيمته الراجحة لما عرف من اشتغال الأستاذ بهذه المباحث واطلاعه على مراجعها النادرة في الأوراق والحجارة المكتوبة.

وهنا اختلف رأي الأستاذ (ڤلبي) ورأي العالم عبد الله ابن عبد الرحمن - أخي جلالة الملك عبد العزيز - كل الاختلاف، والأمير عبد الله كما هو مشهور عنه أعلم الإخوان النجديين بالثقافة الإسلامية والتواريخ العربية، ويقول عنه جلالة أخيه كلما استطرد الحديث إلى مسألة من مسائل الفقه أو العلم متواضعاً صريحاً في تواضعه الجميل: إن الحروب شغلتني عن التبحر في العلوم

والتوسع في الدراسة، أما الذي استوفى نصيبه منها فهو هذا. . . ويشير إلى سمو الأمير حيث كان في مجلسه بجواره.

فلما عرضت الإشارة إلى الحجارة المكتوبة شك صاحب السمو في قيمتها التاريخية، وقال: إنها قابلة للزيف وسوء التفسير، واستشهد بحجر مكتوب تنسب الكتابة التي عليه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهي نسبة مقطوع ببطلانها، وكان من رأيي أن هذه الحجارة قيمة في الدلالة التاريخية على شريطة واحدة: وهي أن تقترن بغيرها من الدلائل وأن تتفق في مجموع دلائلها فلا تتناقض ولا تتضارب، ولو شئت أن أذهب إلى بطلانها معتمداً على بطلان القول بانتماء السماء إلى الناطقين بالضاد كما يطلق على معالمها من لغاتهم لذكرت ذلك في هذا السياق، ولكن القياس هنا قياس مع الفارق كما لا يخفى لأن صعود العرب إلى الكواكب أمر نستطيع أن نشك فيه، ولكننا لا نشك في نزولهم القديم بتلك المنازل التي عثر فيها الأستاذ ڤلبي على ألوف الحجارة المكتوبة، ثم قابل بينها وبين ما عنده من الأسانيد الأخرى.

وسئل عن الأصل في اسم مكة فقيل كما قال الأصمعي:

- إنها من تمككت المخ إذا استخرجته لأنها تمك الفاجر عنها، أو أنها «بكة» لأن الناس يبك بعضهم بعضاً فيها، أي يتدافعون ويتزاحمون، ومن ذاك قول الشاعر:

إذا الشريف أخذته أكه
فخله حتى يبك بكة

ومن المعلوم أن القرآن الكريم ذكرها بأسماء ثلاثة، وهي مكة وبكة وأم القرى، وليس أصل الاسم القديم بالمعروف على وجه التحقيق.

قال الأستاذ ڤلبي: إنه لا يعرف أصل هذه التسمية، ولكنه لا يشك في وجودها منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

وقلت مصداق ذلك إنها وردت في كتاب بطليموس الجغرافي وسماها Macaraba ولعله مزج بين اسم مكة واسم سكانها العرب بهذا التركيب[1].

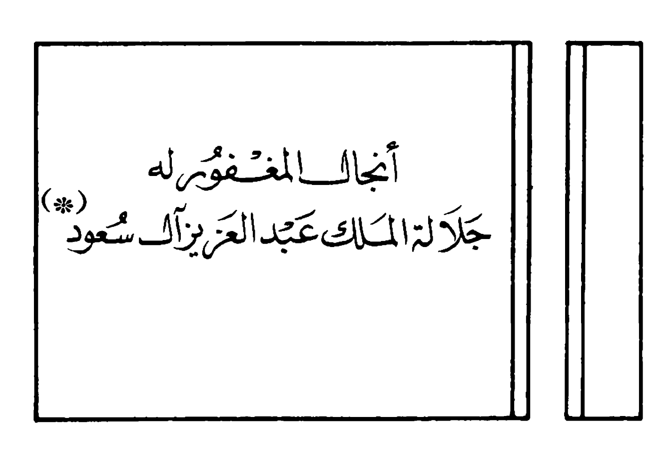
(١) من شاء المزيد في هذا الرأي عند العقاد نليراجع كتابه القيم

ذلك مثل من الجو التاريخي أو الجو اللغوي الذي كان يحيط بنا في رحلتنا إلى الحجاز بحراً وبراً وفي الذهاب وفي الإياب.

ولكننا اشتملنا على جو العروبة من جميع نواحيه حين دار الكلام على الجامعة العربية مع العاهل العظيم جلالة الملك عبد العزيز، لأن جلالته ولا ريب ركن من أثبت أركان هذه الجامعة، وسند من أعظم أسنادها، فإذا تكلم عنها فرأيه فيها يقوم بأقوام الأوزان ويناط به أقوى الرجاء في مصيرها.

وجلالته يؤمن بلزوم الجامعة، ويعتقد أن كرامة الشعوب العربية جميعاً مرهونة ببقائها ونجاحها، ويسميها مناراً ودريئة لكل دولة عربية تشترك فيها.

= «مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية». ففي ذلك الكتاب قسماً عن «مكة المكرمة» في التاريخ.



(*) رأينا في ترتيب أسماء السادة الأمراء أنجال العاهل الكبير حسب ترتيب أعمار سموهم.

١ ـ تركي بن عبد العزيز، توفي عام ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩ م.

٢ ـ سعود بن عبد العزيز «الملك»، ولد في الكويت عام ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠٢ م، توفي في أثينا عام ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م.

٣ ـ فيصل بن عبد العزيز «الملك»، ولد بالرياض في عام ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م، توفي في عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

٤ ـ محمد بن عبد العزيز: ولد في الرياض عام ١٣٣٠ هـ ـ ١٩١٢ م.

٥ ـ خالد بن عبد العزيز، «الملك»: ولد في الرياض عام ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م.

٦ ـ ناصر بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩ م.

٧ ـ سعد بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٩ م.

٨ ـ فهد بن عبد العزيز، النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء و «ولي العهد»: ولد في عام ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠ م.

٩ ـ منصور بن عبد العزيز: ولـد في الريـاض عام ١٣٣٨ هـ ـ ١٩٢٠ م، وتـوفي في بـاريس عـام ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م، ودفن بمكة المكرمة.

١٠ ـ عبـد الله بن عبد العزيز «النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني»، ولد في عام ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م.

١١ ـ بندر بن عبد العزيز: ولـد في عام ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢ م.

١٢ ـ سلطان بن عبد العزيز: وزير الدفاع والطيران، ولد في عام ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٢ م.

١٣ ـ مشعل بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م.

١٤ ـ مساعد بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م.

١٥ ـ عبد المحسن بن عبد العزيز: «أمير المدينة المنورة»، ولد في عام ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧ م.

١٦ ـ مشاري بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣٠ م.

١٧ ـ متعب بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م.

١٨ ـ طلال بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م.

١٩ ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م.

٢٠ ـ بدر بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م.

٢١ ـ تركي بن عبد العزيز: «نائب وزير الدفاع والطيران»، ولد في عام ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م.

٢٢ ـ نواف بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م.

٢٣ ـ نايف بن عبد العزيز: «وزير الداخلية»، ولد في عام ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م.

٢٤ ـ فواز بن عبد العزيز: «أمير منطقة مكة»، ولد في عام ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م.

٢٥ ـ سلمان بن عبد العزيز: «أمير منطقة الرياض»، ولد في عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م.

٢٦ ـ ماجد بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م.

٢٧ ـ عبد الإله بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م.

٢٨ ـ أحمد بن عبد العزيز: «نائب أمير مكة»، ولد في عام ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م.

٢٩ ـ سطام بن عبد العزيز: «نائب أمير الرياض»، ولد في عام ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م.

٣٠ ـ تامر بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م، وتوفي عام ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م.

٣١ ـ ممدوح بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م.

٣٢ ـ مشهور بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م.

٣٣ ـ هذلول بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م.

٣٤ ـ عبد المجيد بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م.

٣٥ ـ مقرن بن عبد العزيز: ولد في عام ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م.

٣٦ ـ حمود بن عبد العزيز.

وللملك عبد العزيز بنات كثيرات.

وبعد ...

سبحانك اللهم جلّت قدرتك وتعاظمت نعماؤك، بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير.

سبحانك يا من جعلت الرمال السافية لا تبقى على أثر، ولكنك جعلت ـ في الوقت ذاته ـ سكان الرمال سجلاً واعياً لجميع الآثار، ولا سيما الآثار الكبار التي تروي تاريخ مؤسس المملكة العربية السعودية العظيم، وباعث النهضة بين ربوعها وفي جنباتها عبر آلاف الفراسخ والأميال.

سبحانك اللهم لقد شئت وقدرت كذلك أن يكون العالم الإسلامي كله فلا سجلاً واعياً لأبناء نجد والحجاز، فكان سكانهما بالأرواح والأذهان أضعاف من سكنوهما بالعيان والجثمان.

فمن من قراء العربية لا يحسب من ساكني الحجاز في عالم الروح والضمير؟.

ومن منهم لا يحسب من ساكني نجد في عالم العاطفة والخيال؟ فهناك سطعت أنوار النبوة المحمدية، وهناك تفجرت ينابيع البلاغة العربية... فكل من عرف وحي السماء في آيات القرآن، ووحي الطبيعة في ألسنة الشعراء فقد عاش في نجد والحجاز، وشغله الحديث عنهما زمناً ولا يزال يشغله إلى الآن.

وإننا لنعتقد أن القراء سيطلعون على هذه الرحلة العقادية للحجاز فينطلقون معها في أودية الخيال، ليشهدوا ذلك المُلك الذي تأسس وتلك الحضارة التي رفرفت ولا تزال ترفرف، ويعاد على أسماعهم من خلال ما سجلته يراعة العقاد من آيات بينات من أقوال وآراء المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود... تلك الآراء التي استطاعت أن يلتقطها خلال تشرفه بمرافقة جلالته في الرحلة المباركة التي زار فيها مصر في عام ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، فهي على جملتها وعلى قلة الأيام التي سنحت لمؤلف العبقريات ولصانع المفاتيح للعظماء أن يشرف بها بجلالته منذ وصوله لميناء جدة ضمن بعثة الشرف المصرية ليصحبوا العاهل الكبير في رحلته المباركة لمصر، فإنها تعطينا سجلاً حافلاً من سجلات التراجم والسير في

الأدب العربي الحديث. . . وهي من قبل ومن بعد قوام بين قديم وحديث. . ولا يصدنا القديم منها عن محاسن الحديث، ولا يصدنا الحديث عن محاسن القديم.

وفي الختام حسبنا ما قاله العقاد قبل أن يشرف بتلك الزيارة عندما طالبه أحد أبناء المملكة من الأدباء والمحققين زيارتها في عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٦ م ليقف العقاد على تطور الحركة الأدبية بالمملكة فقال:

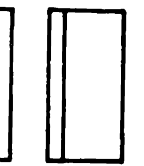
- إنني وإن لم أطف بالبيت سبعاً فقد طافت به روحي سبعين مرة.

وحسبنا ذلك الرأي الذي قاله عن ابن سعود قبل أن يراه ويشرف بلقائه بسنوات حينما قال:

- إن ابن سعود رجل عظيم، ورجل عبقري، هذا ما أوحته إليّ مطالعاتي الكثيرة قبل أن ألقى جلالته وأراه. . . وما رأيته من جلالته قد أوحى إليّ بأنه ملك عظيم. . قوي النفس والقلب. . قوي المنطق والأداء.

رحم الله العاهل الراحل - وطيّب ثراه -.

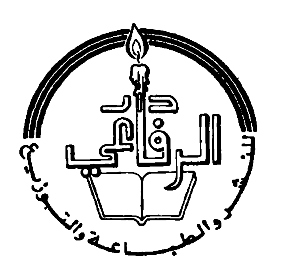
ورحم الله الكاتب الإسلامي الراحل جزاء ما قدما للأمة الإسلامية من خير وزاد.



الفهرس

فسح هذا الكتاب من وزارة الإعلام

برقم ٢/٣٦٠١ وتاريخ ١٤٠٨/٦/٩ هـ



هـذا الكتاب

أصل هذا الكتاب، مقالات نشرها الأستاذ الكبير (عباس محمود العقاد) في الصحف المصرية عقب الزيارة التي قام بها الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود يرحمه الله لمصر، بدعوة من الملك فاروق آنذاك... فقد كان الكاتب الكبير ضمن بعثة الشرف التي صحبت العاهل السعودي إلى القاهرة..

جمع هذه المقالات، وأعدها للنشر، الأستاذ (عامر العقاد) ابن أخي الأستاذ الكبير، وذلك بطلب من (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع).

وإنه لمما يسر الدار الناشرة، أن تقدم هذا الأثر الأدبي لقرائها في هذه الحلة الجديدة، وهي إذ تفعل ذلك تأمل أن تكون عند حسن ظنهم وتقديم كل ما يرضيهم.

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الثمن: ٤ ريالات